سلسلة بحوث وتحقيقات مختارة من مجلة الحكمة (23)

منهج ابن حزم في دراسة الفرق والعقائد الإسلامية

بقلم
مجيد خلف منشد

قام بنشره
أبو مهند النجدي

Almodhe1405@hotmail.com

almodhe@yahoo.com

تمهيد:

من المهم أن نوضح الأسس الـتي اعتمـدها ابن حـزم لتقسـيم كتابه وكيفية تـرتيب العقائد المختلفـة، لأن هـذه النقطة ضـرورية إذا ما علمنا أن ما يمـيز كتـاب الفصـل، من حيث التصـميم، أنه يعتمد على العقائد في تبويب مادته أكثر ما اعتماده على الفـرق، بعبارة أخرى أنه درس الفـرق المختلفة من خلال عقائـدها. وهـذا منهج جمع فيه ابن حـزم بين منهجين مختلفين، الأول منهج كتـاب الملل والنِّحَـــــل، والثــــــاني منهج المتكلمين في بحثهم مختلف المسائل الكلامية. وعلى هذا الأساس يمكن أن نحـدد خطة كتابه وفق هذه المحاور.

المحور الأول: مبحث التوحيد، وقد تضمن هذا المحور مبحث نفي التشبيه[1]، والصفات واعتنى اعتنـاءً شـديداً بـالأخيرة[2]، كما أنه يبحث أسـماء الله تعـالى والـتي لا تفـرق عن الصـفات شـيئاً بنظره

[3]، وهو في كل ذلك يذكر مقالات الفرق المختلفة مركزاً على الصـفات الـتي هي مثـار نـزاع بين المتكلمين، ويهتم على الأخص بصفتين الأولى الرؤية[4] والثانية كلام الله تعالى[5].

---

[1] الفصل، (2/277- 281).

[2] الفصل، (2/283- 330).

[3] الفصل، (3/7).

[4] الفصل، (3/7- 10).

[5] الفصل، (3/11- 30).

المحـور الثـاني: مبحث القـدر، وهو من المسـائل المعقـدة، والكثيرة التداخل عند المتكلمين، وبعد أن ينهي الكلام فيه يــدخل إلى أمـــور عديـــدة تابعة له ومتداخلة معه مثل الاســـتطاعة، ثم الهـدى والتوفيق ويبحث أيضـاً الكلام في خلق أفعـال العبـاد مثل التعـــديل والتجـــوير منبهـــاً على مســـائل مهمة مثل قوله على المسألة الأخيرة: "وهذا الباب هو أصل ضلال المعتزلة نعـوذ بالله من ذلك"[1]، ونجده يهتم بهذا الباب اهتماماً خاصـاً يسـتغرق بحثه كلاماً طويلاً[2].

المحـور الثـالث: مبحث الإدارة: ويحمل في كتـاب ابن حـزم عنواناً مطولاً هو: "الكلام في هل شـاء الله عز وجل كـون الكفر والفسـق، وأراده تعـالى من الكـافر والفاسق أم لم يشأ ذلك ولا أراد كونه"

[3]، وبطبيعة الحال نجـده كما عهـدنا في السـابق، يطيل الكلام في هــذه المســألة معرجــاً في النهاية على ذلك المبحث الــذي اشتهرت به المعتزلة وهو القول بالأصلح[4].

المحـور الرابع: مبحث الإيمـان ويحمل عنوانـاً مسـتقلاً هـو: "كتـاب الإيمـان والكفر والطاعـات والمعاصي والوعد والوعيد"[5]. ويعتني ابن حزم اعتناءً خاصـاً بهـذا المحـور من كتابه ويبحثه من مختلف الجوانب وتـدل الصـفحات الكثـيرة الـتي كتبها على هـذه العناية[6]. وهو لا ينتهي من هــذا المحــور حــتى يجعل الكلام في

---

[1]) الفصل، (137).

[2]) الفصل، (3/137- 179).

[3]) الفصل، (3/179).

[4]) الفصل، (3/201).

[5]) الفصل، (3/227).

[6]) الفصل، (3/227- 302).

عصـمة الأنبيـاء من ضـمن مباحثه[1]، وأخـيراً يصل إلى الكلام في الوعد والوعيد وهذه هي نهاية هذا المحور.

المحور الخامس: مبحث السمعيات، وهي المســائل الكلامية الفرعية والتي كـان لكل طائفة من المتكلمين نصـيب فيهـا، مثل عذاب القبر[2]، ومستقر الأرواح[3]، وبعث الأجساد وغيرها[4] .

[1] (?) الفصل، (4/5 -60).

[2] (?) الفصل، (4/117).

[3] (?) الفصل، (4/121).

[4] (?) الفصل، (4/137).

المحـور السـادس: مبحث الإمامـة، وقد أدرج فيه كلام على مواضيع كثـيرة أهمها مسـألة المفاضـلة بين الصـحابة، وما يتعلق بالإمامة من أمـــور مثـــل: الكلام في إمامة المفضـــول[1]، وعقد الإمامة[2].

المحـور السـابع: المبحث الكلامي، وفيه اعتـنى بالمسـائل الكلامية المعقـدة مثل الكلام في الاسم والمسـمى[3] والمعـاني والجـواهر[4] والأعـراض[5] وغيرها من المسـائل الكلامية الـدائرة على ألسنة الفلاسفة.

والملاحظ على هذه المحاور، أن ابن حزم قد اتخذ فيها مسـاراً محــدداً يعتمد بالدرجة الأولى على أهمية المبحث، فــنرى مبحث التوحيد على رأس القائمـة، وهو يشـكل أبـرز المسـائل الكلامية الــتي دارت على ألســنة الكثــير من أهل العقائد الإســلامية، ثم يتدرج في الأهمية حتى يصل إلى المسـائل الأقل تـداولاً، والأكـثر تعقيـــداً بحيث اختصر الجهد على القـــارئ ولم يحمله عنائها في بداية كتابـه، وقد حـدد لنا ابن حـزم منهجه ذلك واضـحاً منذ بحثه للعقائد، فجعل الكلام في المعاني والـتي يعـدها عمـدة ما اقـترن عليه أهل الإســلام: "وهي التوحيـــد، القـــدر، الإيمـــان، والوعيد والإمامة، ثم أشياء يسميها المتكلمون اللطائف"[6].

وقد راعى في بحث هذه المسائلة عدة اعتبارات، والـتزم بعـدد من المبـــــادئ وهي تشـــــكل عناصر منهجه في بحثه للعقائد الإسلامية، وتتمثل بما يأتي:

---

[1](?) الفصل، (5/5- 12).

[2](?) الفصل، (5/ 13- 18).

[3])) الفصل، (5/135).

[4](?) الفصل، (5/161).

[5])) الفصل، (5/193).

[6] (?)الفصل، (2/275).

اللغة:

لقد اعتـنى ابن حـزم اعتنـاءً شـديداً باللغـة، وجعلها من أدوات منهجـه، وهو يؤكـد عـدة مـرات على أن البـاحث الـذي لا يمتلك مقـــدرة التكلم بمرونة باللغة الـــتي يبحث بها هو شـــخص قليل الفهم ضـعيف الحجـة، ولـذلك لا يعجب القـارئ عنـدما يجد هـذه العناية منه بكل جـــوانب اللغة بألفاظها وتراكيبها وبلاغتها وســبل الاشتقاق فيها مقارنة بغيرها من اللغات[1].

ويعرف ابن حـزم اللغة بأنهـا: "ألفـاظ يعـبر بها عن المسـميات وعن المعاني المراد إفهامها"[2]، ولا غرو في ذلك لأن النص الذي يحرص عليه حرصاً شـديداً يـدل على هـذا كما قـال تعـالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ" [إبراهيم: 4]، ومن هنا على كل باحث يريد الحق والوصول إليه أن يحرص على هـذه الوسـيلة أشد الحـرص، فبـدونها يصـبح علمه ناقصـاً، ويفتقر إلى الدقة، يقول ابن حـزم بهـذه الخصـوص: "وإنما يلـزم كل منـاظر يريد معرفة الحقائق، أو التعريف بها أن يحقق المعـاني الـتي يقع عليها الاسم ثم يخـــبر بها أو عنها بـــالواجب، وأما مـــزج الأشـــياء وقلبها عن موضـــوعاتها في اللغـــة، فهـــذا فعل السوفســـطائية[3] الوقحاء بالجهال العابثين بعقولهم وأنفسهم"[4]، وهكذا تـراه يشن هجوماً على أولئك المتكلمين الذين يتلاعبون بالألفاظ، ويدلســون على العوام والجهال من الناس، ولا تستغرب من ذلك، فقد كانت من أهدافه الرئيسة لتـأليف كتابه هـو: "المبالغة في بيـان اللفظ وترك التعقيد"[5].

---

[1] (?) عمر فروخ، "ابن حزم الكبير" (ص64).

[2] (?) "الأحكام"، (م1)، (ص42)، "الرسائل" (4/411)، وينظر محلق رقم (3).

[3] (?) يعرف ابن حزم السفسطة: تمويه بحجة باطلة بقضية أو قضـايا فاسـدة، تقـود إلى الباطـل، وينظر محلق رقم تحث مصطلح الشغب.

[4] (?) الفصل، (2/279) وينظر كذلك (4/183).

[5] (?) الفصل، (1/36) .

ويبقى ابن حزم ملخصاً في منهجه هذا، ويذكر القـارئ بـه، فهو عندما يبدأ بالحديث عن الاستطاعة يصـرح قـائلاً: "أن الكلام على حكم لفظ الاستطاعة قبل تحقيق معناها، ومعرفة ما المراد بهـا؟ وعن أي شئ يعــبر بــذكرها؟ فينبغي أولاً أن يوقف على معــنى الاسـتطاعة، فـإذا تكلمنا عليه وقربنـاه بحـول الله وقوتـه، سـهل الإشــراف على صــواب هــذه الأقــوال من خطئها بعــون الله وتأييده[1].

ولكن بقيت حـدود هـذه الألفـاظ واضـحة المعـالم عنـده، لأن أكثرها بنظـره: "موضـوعة من عند الله تعـالى على مسـميات لم يعرفها العــرب قــط، هــذا أمر لا يجهله أحد من أهل الأرض ممن يدري اللغة العربية، ويدري الأسماء الشرعية[2]،فحـدودها عند ابن حزم هي مذهبه الظاهري، لأنه حريص جداً على هذا الأمــر، وينبه القارئ مراراً عدة بإقرار المطلـق: "بما جـاء به القـرآن والسـنن كما جــاء، ولا نزيد فيه ولا ننقص منه ولا نحليه فنــؤمن به بخلاف المعهود فيما يقع عليه اللفظ من خلقه"[3].

واللغة عنده وسيلة إيضاح وتقريب، والعلوم النظرية أحــوج إلى سهولة اللفظ وبيـان العبـارة [4]. على أن الـذي أوجد الخلاف في فهم التعابير بنظره تحميل اللفظ أكثر مما يقتضـيه، وهـذه عنـده بديهة نكــاد نجــدها في معظم اللغــات المعروفة والمتداولة بين الناس[5].

---

[1](?) الفصل، (3/39) .

[2]) الفصل، (3/235) ، وينظر ملحق رقم (3) من هذا البحث.

[3]) الفصل، (2/337، 368)، (3/9).

[4](?) سعيد الأفغاني، نظرات في اللغة عند ابن حزم (دمشق، 1963)، (ص23).

[5]) الفصل، (1/195)، (3/126).

وعند أخذ نموذج لهذا الجانب، يتبين لنا اهتمام ابن حزم الواضح فيه، فهو عندما يبحث مسألة القدر، يبـدأ بتعريفه لغويـاً، فيقـول: "والقدر في اللغة العربية الترتيب والحد الذي ينتهي إليه الشيء

[1]، والأمثلة على ذلك قوله تعالى: "إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَـاهُ بِقَـدَرٍ "[القمر:49]، يريد تعالى: برتبة وحد"[2].

وهكذا يحدد مفهـوم هـذه اللفظة ليصل إلى تعريف سـرعان ما يسيطر به على فكر القـارئ: "ومعـنى القضـاء والقـدر حكم الله تعالى في شئ بحمـده أو ذمه أو تكوينه أو ترتيبه على صـفة كـذا إلى وقت كذا"[3]، وأنت ترى في هذا بحثـاً لغويـاً لا ينسى فيه أن يــرد شــبه الخصــوم، لأنه ينبه على أن البعض ظنــوا أن كــثرة اسـتعمال المسـلمين هـاتين الفظـتين، بأنها تعي معـنى الإكـراه والإجبار وهذا –بنظره- هو الباطل عينه[4].

لأن المجبر في اللغة: "هو الـذي يقع منه الفعل بخلاف اختيـاره وقصده فأما من وقع فعله باختياره وقصـده فلا يسـمى في اللغة مجــبراً"[5]، وهكــذا يتضح بجلاء أن مهمته لم تكن مقتصــرة على عرض آراء العقائد ومقـالات الفـرق، بل إنه حـريص على توضـيح الحقيقة كاملة للقارئ، لكي يتبين له ماهية هذه الألفاظ ومدلولها اللغوي مما قاده إلى الاستعانة بلعوم اللغة المختلفة والمتشـبعة، ونـرى ذلك واضـحاً، على سـبيل المثـال، عند مناقشـته مسـألة: "تكوين الكفر والفسق" فهو يستشـهد بقوله تعـالى: فَلا تُعْجِبْـكَ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيـدُ اللَّهُ لِيُعَـذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَـاةِ الـدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ [التوبة:55]، فابن حزم باستناده

---

[1](?) الفصل، (3/77).

[2]) الفصل، (3/77- 78).

[3]) الفصل، (3/78).

[4]) الفصل، (3/77).

[5]) الفصل،(3/35).

لهذه الآية يقـول بـأن الله عز وجل أراد أن يموتـوا وهم كـافرون، ودليله عليه بحث لغـوي وهو أن "القـاف في "تَزْهَق" مفتوحة بلا خلاف من أحد من القـــــراء، معطوفة على ما أراد الله عز وجل "أن يعــذبهم بها في الــدنيا، والــواو تــدخل معطــوف في حكم المعطـوف عليه بلا خلاف من أحد في اللغة الـتي خاطبنا بها الله تعــالى"[1]، ونحن نجــده هنا يســتخدم اللغة كوســيلة مهمة من وسائل الإقناع بصواب قوله.

وربما فاجأنا ابن حزم ببحث لغـوي مقـارن، فهو عنـدما ينـاقش مســائل مثل الجسم أو العقل أو الجــوهر، وغيرها من الألفــاظ الـــدائرة بين المتكلمين، يتـــبين أن هنـــاك مصــطلحات تختلف بـاختلاف اللغـات: "فـإن لفظة العقل غريبة أتى بها المـترجمون، عبــارة عن لفظة أخــرى يعــبر بها في اليونانية أو في غيرها من اللغات، عما يعـبر بلفظة العقل عنه في اللغة العربيـة، هـذا ما لا خفاء به عند أحد، ولفظة العقل في لغة العرب إنما هي موضوعة لتمييز الأشياء واستعمال الفضائل فصح ضرورة أنها معبر بها عن عرض، وكل مرع خلاف ذلك رديء العقل عديم الحياء مبـاهت بلا شك"[2]، ونرى من هذا أنه يحـاول تميـيز المـدلول بين اللفظـتين في العربية واليونانية، واحتمـال التطـابق الحـرفي بين اللفظـتين باختلاف اللغات أمر مستعبد وقع فيه بعض النــاس فولد لهم ذلك تخبطاً، وأوقعهم في التباس كبير لم يستطيعوا الخروج منه[3].

إضافة إلى مبحثه في العقل، بحث ابن حزم مصطلحات أخــرى منها الخليفة والشــرك والكفر وغيرها من المصــطلحات[4]. ومما تقدم يتضح بجلاء الجهود الطيبة التي بذلها في هذا المجال، حيث أنه اسـتفاد اسـتفادة عظيمة من اللغة لبيـان قيمة منهجه العلمي

---

[1]) الفصل، (3/188).

[2]) الفصل، (5/200)، وينظر: س. بينس مذهب الـذرة عند المسـلمين وعلاقته بمـذاهب اليونـان والهنود، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة (القاهرة، 1946)، (ص5).

[3]) أبو زهرة، ابن حزم، (ص225).

[4]) ينظر محلق (3) من هذا البحث.

في مناقشة العقائد المختلفة، التي سادت الساحة الفكرية الإسلامية آنذاك،وبذلك يكون ابن حزم أول من اهتم بهذه النقطة من العلماء المسلمين فيما وصل إلينا من مصادر، الأمر الذي يعطينا تقييماً حقيقياً لنتاجه هذا وإبداعه فيه[1].

الأسلوب

قبل الحديث عن توظيف ابن حزم للأسلوب في منهجه العلمي بدارسة العقائد بالإمكان تثبيت الأمور الآتية:

1- كان له أسلوب واضح مميز يستطيع أن يعرفه كل من قرأ كتبه.

2- الإطناب في البحث وكثرة الاستشهاد.

3- سهولة اللفظ، وانسياب العبارة من دون أن تحس بعناء كبير وأنت تقرأ نتاجه.

والأمثلة على ذلك كثيرة، منها مناقشته المعتزلة في مسألة خلق أفعال العباد، من جميع الوجوه وتستغرق صفحات كثيرة[2]. وعند انتهائه من هذه المهمة يقول ابن حزم: "قد أبطلنا بحول الله وقوته كل شغب المعتزلة في أن أفعال العباد غير مخلوقة لله عز وجل فنأت ببرهان ضروري إن شاء الله تعالى على صحة القول أنها مخلوقة لله تعالى[3]، وهكذا يبدأ بإيراد الأدلة على ذلك، والملاحظ على أسلوبه، الوضوح في اللفظ، والابتعاد عن التعقيد، الأمر الذي لا نجده عند معظم الكتاب الآخرين في هذا

---

[1] للمزيد من التفاصيل ينظر:

Roger Arnaldez, Grammaire et Theologic Chez Ibn Hazm de cordoue, Paris, .pp. 37-87

علي محمد فرغلي، ابن حزم الأندلسي وأثره في الفكر الإسلامي، مجلة الحضارة الإسلامية (1996) (ع2) (ص236- 239).

[2] الفصل، (3/82- 132).

[3] الفصل، (3/ 132).

المجـال، فعلى سـبيل المثـال عند مقارنة ما كتبه الشهرسـتاني حول موضـوع "هل المعـدم سيئ أم لا[1]، وبين ما كتبه ابن حـزم في الموضـوع نفسه نـرى بوضـوح الفـرق في الأسـلوب عند كلا المفكرين.

وقد يزاوج بين أسلوب المحدثين والمتكلمين في سـبيل إيضـاح الفكـرة، فعند بحثه مسـألة الاسـتطاعة يلجأ إلى الحـديث النبـوي لتوضـيح معـان غامضة - صـلى الله عليه وسـلم – قـال: (**فـإذا أمــرتكم بشيء فخــذوا منه ما اســتطعتم**)[2]، ويعلق ابن حزم على هذا الحديث: "فلو لم يكن هاهنا اسـتطاعة لشـيء مما أمرنا به قبل أن نفعل لما أمرنا به ولما لزمنا شئ من ذلك، ولكنا غير عصاة بالترك لأننا لم نكلف بالنص إلا ما استطعنا"[3]، ونجـده هنا يقرب مفهوم الاستطاعة للقـارئ بأسـلوب قـريب الشـبه بما يفعله المحدثون في كتبهم وربما لجأ إلى أسلوب الفقهاء للغرض نفسه فهو عنـــدما يصل إلى قـــول بعض المعتزلة –وهو قـــول الإسـكافي-[4]، بـأن الله تعـالى لم يخلق العيـدان ولا الطنـابير ولا المزامير يرد ابن حزم، من ضمن ما يرد به عليه، هذا الافــتراض: " ... فلو حلف إنسان أنه لا يشـتري طنبـوراً، فاشـتري خشـباً لم يحنث ولو حلف أن يشتري خشـباً فاشـتري طنبـوراً لم يقع عليه حنث لأن الطنبور في اللغة يقع على اسم الخشـبة"[5]، وهو بهـذا يضع خصمه بزاوية ضيقة ثم يأتيه بدليل شرعي وهو قوله تعـالى:

---

[1]) الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام تحقيق: الفرد جيوم (بغـداد مكتبة المثـنى، بلا. ت) (ص 150- 163) ويقارن ذلك بما في الفصل (5/155- 159).

[2]) الحديث رواه البخاري، الصحيح، (9/117)، مسلم الصـحيح، (2/975)، ابن ماجـه، السـنن، (1/5)، النسائي، السنن (5/ 110- 111).

[3]) الفصل، (3/44).

[4]) هو محمد بن عبد الله الإسكافي (ت24هـ) من أئمة المعتزلة ومتكلميهم وأصله من سـمرقند، سكن بغداد، وكان المعتصم معجباً به إعجاباً شـديداً، اشـتهرت عنه هـذه المقولة الـتي ذكرها ابن حزم، ترجمته عند ابن النـديم، الفهرست (ص231)، الخطيب البغـدادي، تـاريخ بغـداد، (5/416)، الشهرستاني، المِلَل والنحل، (1/94).

[5]) الفصل، (3/188).

 اللَّهُ الَّذِي خَلَـقَ السَّــمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ [السـجدة: من الآية4]. وبهذا يثبت ابن حزم كون الأشياء مخلوقة بنص القرآن[1].

وربما لجأ ابن حـــزم في نهاية كلامه على بعض المســائل إلى تلخيص رأيه على شكل خلاصة مركزة وتقديمها للقـارئ، فهو في بحثه لمســألة تكــوين الكفر يســتغرق صــفحات فيها[2]. ويختمها بقولــه: "فــإذا جــاءت النصــوص كما ذكرنا متظــاهرة لا تحتمل تـأويلاً [3] بـأن الله عز وجل أراد ضـلال من ضل وشـاء، وكفر من كفر، فقد علمنا أن كلام الله تعالى لا يتعارض، فما أخبر عز وجل أنه لا يرضى لعبـاده الكفـر، فبالضـرورة علمنا أن الـذي نفى عز وجل هو غير الذي أثبت، فإذن لاشك في ذلك، فالذي نفى تعـالى هو الرضا بـــالكفر، والـــذي أثبت هو الإدارة لكونه والمشـــيئة لوجوده، وهما معنيان متغايران بنص القرآن وحكم اللغة"[4].

على أنه يستخدم الحدة التي عابها عليه الكثيرون، وهــذا واضح في كتابه الذي جر إليه كثيراً من النقد، والأمثلة على ذلك كثـيرة، نأخذ مثلاً قوله: " .... وتباً لكل قول أدى إلى هذا الهوس البـارد"[5]، عند كلامه على الفـــرق بين الاسم والمســـمى أو قوله لأحد خصومه بعد أن رد مقالته: "ولقد كان ينبغي لمن هذا مقداره من الجهل أن يتعلم قبل أن يتكلم!" [6]، حـــــتى أنك لتجد في بعض الأحيـــان عبـــارات فيها نـــوع من التجـــاوز ففي رده على بعض المسائل التي طرحها الأشاعرة يستطرد بهـذا الكلام: "ولا ضـلال

---

[1]) الفصل، (3/86).

[2]) الفصل، (3/179- 188).

[3]) ينظر معنى هذه الكلمة عند ابن حزم في ملحق (3) من هذا البحث.

[4]) الفصل، (3/118).

[5]) الفصل، (5/137).

[6]) الفصل، (2/331).

ولا حياء أعدم ولا مجاهرة أطم، ولا تكـذيب لله تعـالى أعظم...[1] وربما يعود سبب هذه الحدة في أسلوبه إلى ما ذكرناه سابقاً في تحليل شخصيته حتى وسمه البعض بكونه ذا مزاج ناري، وعبارات صـافية[2]، ولعل سـبب هـذه الحـدة، هو حرصه على الحـق، مع مقدار من الاعتزاز بـالنفس، مما ولد فيه مثل هـذه الصـفة حـتى أصبحت من أكبر المآخذ على كتابه الفصـل، وفي هـذا الخصـوص يقـول السـبكي: "وفيه من الحط على أئمة السـنة"[3]، وفي كلام السبكي وجه حق، خصوصاً موقف ابن حـزم من أئمة الأشـاعرة، وربما تكون للنقاشات التي دارت بين ابن حـزم وكبـير الأشـاعرة بالأنـــدلس أبي الوليد البـــاجي أثر في هـــذا، وكـــذلك إلى مذهبه الظاهري الذي يجعل النص حداً لكل حكم، وبعد هذا فلا تستغرب عنـدما تقـرأ في كتابه الفصـل، وهو يوسم بعض رؤسـاء المعتزلة بـ(الخلعاء العارين)[4].

ولم تقف هذه الحدة عند هذا الحد، بل إننا نجــدها تنعكس على جوانب أخرى من أسلوبه، خاصة في صياغة الأحكـام واسـتخلاص النتــائج، مثل اســتخدامه "وثبت يقينــاً"[5]، أو قوله نــاكراً إدعــاء البعض: "وهذا محال[6]، وقوله أيضاً: "فبطل قولهم وعادت الحجة عليهم[7]، ولم يكن ابن حـزم يفـرق في جدله بين عـالم مشـهور من أئمة المســـلمين وبين رجل تطـــرف باعتزالـــه، بل عباراته

---

1)) الفصل، (3/12).

2)) جورج شحاته قنواتي، مـادة الفسـلفة وعلم الكلام والتصـوف، تـراث الإسـلام، تحرير شـاخت وبوزورت، ترجمة حسين مؤنس، إحسان صدقي العمد (الكويت 1978) (ق2) (ص218).

3)) طبقات الشافعية الكبرى، (6/129).

4)) الفصل، (3/70).

5)) الفصل، (1/103) (3/254) (4/134).

6)) الفصل، (3/233).

7)) الفصل، (5/138).

الشـديدة القاسـية لم تكن في بعض الأحيـان في موضـعها وربما تجاوزت الحدود المعقولة في النقد [1].

ويمتاز ابن حزم في أسلوبه باستخدامه لفظ: "قال: أبو محمد" كثيراً لتنبيه القارئ إلى أمور من ضمن ذلك:

1- تكون بداية فقرة جديدة يعلم القارئ بها[2].
2- قد يسـتخدمها لإيـراد المصـدر الـذي يأخذ معلوماته منه[3].
3- في بعض الأحيان ينقل آراء العلماء من خلالها[4].
4- لنقل أدلة الخصوم وحججهم[5].
5- إبطال أدلة الخصوم عن طريق إيراده لحججه[6].
6- يورد بعدها آراء الناس في مسألة معينة[7].
7- وسـيلة لإيـراد بعض المنـاظرات الـتي تحصل بينه وبين بعض المناظرين[8].

---

[1]) أبو زهرة، ابن حزم، (ص201).

[2]) ينظر على سبيل المثال، الفصل، (3/63).

[3]) ينظر على سبيل المثال، الفصل، (4/157).

[4]) ينظر على سبيل المثال، الفصل (4/209).

[5]) ينظر على سبيل المثال، الفصل، (4/127).

[6]) ينظر على سبيل المثال، الفصل، (4/128).

[7]) ينظر على سبيل المثال، الفصل، (4/101، 121).

[8]) ينظر على سبيل المثال، الفصل، (4/196).

8- يستخدمها في الربط بين موضـوعين، مثل ربطه الكلام على الهدى والتوفيق بالاستطاعة بهذه اللفظة[1].

9- ينبه القارئ أن ما سيورده بعدها هو رأيه وقوله[2].

ومن خلال ما مر نستطيع أن نقول أن ابن حزم قد أوجد لنفسه أسلوباً مميزاً، استطاع من خلاله أن يبين الحقائق بوضوح رغم كـون الإسـهاب والإطنـاب في بعض المواضـيع من ممـيزات كتابه إلا أنه حافظ على نفسٍ طويل في إدارة دفة النقـــــــــاش بالرغم من اتسامه بالحدة الـتي ربما تجعلنا نقلل من موضـوعيته الأسـلوبية لا من موضـوعيته العلميـة، وأوجد لنفسه نظامـاً عن طريق اسـتخدام كنيتـه، حيث جعلها على ما يبـدو، في كثـير من الأماكن وكأنها علامات التنقيط المتداولة بين الباحثين في عصرنا الحالي.

الاستشهاد:

امتـاز منهج ابن حـزم بالاستشـهاد، بـأنواع كثـيرة من الأدلة الشـرعية أو التاريخية أو الأدبية أو الجغرافية وغيرهـا، والقـارئ لكتاب الفصل تلفت نظره تلك النصوص الكثيرة التي سـاقها، إما لكي يستشـهد بهـا، أو يسـتبدل بها على ناحية معينـة، ويمكن أن نتعرض لأهم أنواع هذه الاستشهادات:

1- القرآن الكريم: وهو المصدر الأول عنده، وتـرد منه أكـثر الاستشهادات مقارنة بـالأنواع الأخـرى. فمثلاً عند مناقشة محـور الإيمان يبدأ بإيراد الأمثلة على ذلك من كتاب الله كقوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُـوبِ الْمُـؤْمِنِينَ لِيَـزْدَادُوا إِيمَانـاً مَـعَ إِيمَانِهِمْ [الفتح:4][3]، وقوله تعالى: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُـوا لَكُمْ فَاخْشَـوْهُمْ فَـزَادَهُمْ إِيمَانـاً [آل عمـران:

[1]) ينظر على سبيل المثال، الفصل، (3/63).

[2]) ينظر على سبيل المثال، الفصل، (2/339).

173]، وقوله تعالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ [البقرة: 143]، يقول ابن حزم: "فصح يقيناً أن الإيمان الذي زادتهم الآيات إنما هو العمل بها الذي لم يكونوا عملوه ولا عرفوه ولا صدقوا به قسط، ولا كان جائزاً لهم أ، يعتقدوه ويعملوا به بل كان فرضاً عليهم تركه والتكذيب بوجوبه والزيادة لا تكون إلا في كمية عدد لا فيما سواه ..." [1] وأنت ترى في هذا الاستشهاد القرآني، كيف استطاع أ، يبرهن بالاعتماد على هذه الآيات بأن الإيمان يزيد وينقص، وليس هو اعتقاداً فقط، والأمثلة على الاستشهاد القرآني كثيرة وعديدة[2].

2- الحديث النبوي: يأتي اهتمامه بالحديث النبوي، في إيراد الأمثلة والشواهد، بالدرجة الثانية، ودراسة نموذج لهذا الاستشهاد مهمة في بيان كيفية استفادته من الحديث لتدعيم وجهة نظره، فهو عندما يتكلم حول الوعد والوعيد يبين للقارئ بأن: "كل كافر عمل خيراً وشراً ثم أسلم فإن كل ما عمل من خير يكون له مجازى به في الجنة، وأما ما عمل من شر فإن تاب عنه مع توبته من الكفر سقط عنه وإن تمادى عليه أخذ بما عمل في كفره وبما عمل في إسلامه وبرهان ذلك: حديث حكيم ابن حزام عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – أنه قال: (يا رسول الله أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية من عتق وصدقة وصلة رحم، فقال له رسول الله - صلى الله عليه وسلم – أسلمت على ما سلف لك من خير)[3]، فأخبر أنه خير، وأنه له إذا أسلم وقالت عائشة رضي الله عنها: (يا رسول الله أرأيت ابن جدعان فإنه يصل الرحم ويقري الضيف، أينفعه ذلك؟ قال: لا؛ لأنه لم يقل

---

[3]) الفصل، (3/232).

[1]) الفصل، (3/233).

[2]) ينظر على سبيل المثال استفادة ابن حزم من الاستشهاد القرآني: الفصل (3/303)، (4/81-82)، (ص84- 87).

[3]) أحمد، المسند، (3/434)، البخاري، الصحيح، (2/141)، مسلم، الصحيح، (1/113).

يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)[1]. فاتفقت الأخبار كلها على أنه لو أسلم لنفعه ذلك[2] وهكذا نجد ابن حزم كيف وظف الحديث الشريف لخدمة منهجه في إبراز الحقيقة، وبرهن بذلك على أن النص مهم في مجال البحث العقائدي[3].

3- **الاستشهاد بالتاريخ**: يلاحظ على ابن حزم أنه استشهد بالتاريخ ولكن في هذا المجال نجده أقل استعمالاً عنده قياساً بالاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوي، وهذا ناتج من اهتمامه بالشريعة وإعطائها على غيرها إلا أن موسوعيته وثقافته الواسعة جعلت اختياره للأمثلة التاريخية ظاهرة في منهجه أيضاً، فعلى سبيل المثال نجد دليله على أن الله عز وجل قد يسلط الكافر على المؤمن أمثلة تاريخية كما سلط: "الكفار على من سلطهم من الأنبياء وعلى أهل بئر معونة[4]، ويوم أحد"[5]، وبهذا يثير ابن حزم الحس التاريخي لدي القارئ ويجعله يسلم له طائعاً لأنه يقدم حقيقة تاريخية واضحة ومعروفة. وتجده يستشهد بفشل كل من: "المأمون والمعتصم والواثق – على سعة ملكهم لأقطار الأرض – قطع القول بأن القرآن مخلوق فما قدروا على ذلك"[6]، فحرصه على إقناع المقابل، قاده للاستعانة عدة مرات بأنواع الأمثلة التاريخية[7]، وميزة ابن حزم في كتاباته التاريخية،

---

[1]) مسلم: الصحيح، (1/196).

[2]) الفصل، (4/95).

[3]) ينظر أمثلة لهذا الاستشهاد في الفصل، (3/243- 144)، (167- 168)، (246- 247).

[4]) بئر معونة: هي أرض بين أرض عامر وحرة بني سليم، فيها قتلت بالبعثة التي أرسلت بأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في صفر سنة (4هـ) إلى أهل نجد وقتلت بتآمر المشركين ضدهم، وكانت تضم أربعين رجلاً من المسلمين، ينظر ابن هشام، السيرة (ص183–ـ 189)، الحموي، معجم البلدان، (5/159).

[5]) الفصل، (3/198).

[6]) الفصل، (1/144).

[7]) ينظر على سبيل المثال، الفصل، (4/233- 244).

في الاختصـــــار والمقارنة بل إنه يلجأ في أحيـــان كثـــيرة إلى الاستشهاد بالتاريخ على التـاريخ، وهـذا يصـبح أمـراً ضـرورياً في مسـائل الخلاف خاصة المسـائل الـتي لها علاقة بالتـاريخ[1]، فمن تلـك: المقارنة الذكية بين مقتل كل من عثمـان بن عفـان وعمـار بن ياسر (رضي الله عنهما)[2].

يقـول: "وعمـار رضي الله عنه قتله أبو العادية يسـار بن سـبع السلمي[3]، شهد بيعة الرضـوان فهو من شـهداء الله له بأنه علم ما في قلبه وأنزل السـكينة عليه ورضي عنـه، فـأبو العادية رضي الله عنه متأول مجتهد مخطئ فيه، باغ عليه، مأجور أجراً واحــداً، وليس هــذا كقتلة عثمــان - رضي الله عنه – لأنهم لا مجــال لهم للاجتهاد في قتله لأنه لم يقتل أحداً ولا حارب ولا قاتل... فيسـوغ لمحاربة تأويل، بل هم فساق محاربون سافكون دماً حراماً عمداً بلا تأويل[4].

إن هذه المشاهدة التاريخية، والمقارنة بين حادثين، يكون أمـراً ضرورياً عند حدوث خلاف في مسـببات وقوعهمـا، وكـأن الحادثة التاريخية يمكن أن تعطي بعداً حقيقياً لتصورات المؤرخ من أجل حل الخلاف القائم بين المتكلمين في هذا الحادث[5].

4- الاستشهاد بالجغرافية: إن ابن حــزم لم يهمل الجــانب الجغرافي من أجل الاستفادة منه في إسـناد وجهة نظـره، ويـدل بحثه فيه على أنه يمتلك معلومـات جغرافية جيـدة، فلـرد دعـوى

---

[1]) إحسان عباس، مقدمة الرسائل، (2/26).

[2]) الفصل، (4/181- 244).

[3]) كـذا أورده ابن حـزم في الطبعة الـتي تحت يـدي: " أبو العاديـة" بعين مهملة والأصح كما عند ابن سـعد وابن عبد الـبر: "أبو غاديـة" بعين معجمة يسـار بن سـبع الجهـني ويقـال المـزني قـال العقيلي وهو الأصح، واختلف في اسمه واسم أبيه قبل اسمه مسلم وقيل يسار بن سبع، يقال أنه قاتل عمـار سـكن واسـطاً وكـان يفـرط في حب عثمـان، ابن سـعد، محمد بن سـعد الزهـري، الطبقات الكبرى، (بيروت، 1957)، (3/262)، ابن عبد البر، الاستيعاب، (4/1582).

[4]) الفصل، (4/242).

[5]) ينظر للفائدة: سعيد الأفغاني، ابن حزم، ورسالة المفاضلة بين الصحابة، (ص158- 161).

البعض: يكون عقد الإمامة لا يصح إلا بعقد فضلاء الأمة، يثبت بأن هذا الأمر يكاد يكون مستحيلاً إذ: "لا حرج ولا تعجيز أكثر من أن تعرف إجماع فضلاء الأمة مَنْ في المولتان[1]، والمنصورة[2] إلى بلاد مهرة[3] إلى عدن، إلى أقاصي بلاد المصامدة[4]، إلى طنجة إلى الأشبونة[5]، إلى جزائر البحر، إلى سواحل الشام إلى أرمينية[6]..."[7]. ولا يستطيع أحد إلا أن يقول بأن هذا الأمر يبدو مستحيلاً في مثل ذلك العصر، ويعترف في الوقت نفسه لابن حزم بذكائه وفطنته في استفادته من هذه النقطة الجغرافية، وتؤكد القيمة الحقيقية لبحث ابن حزم في العقائد[8].

5- الاستشهاد بالشعر: لم يكن ابن حزم ليدع وسيلة –وفق منهجه- ليدافع بها عن وجهة نظره في بحثه للعقائد الإسلامية، ويحاول إيصال رأيه للقارئ وإقناعه بالأمثلة التي يوردها، حتى لو أداه ذلك إلى الابتعاد عن موضوع كتابه، والاتجاه إلى الشعر، فقد استعار قول جرير:

---

[1]) المولتان: هي بلدة في بلاد الهند على سمت غزنة، فتحت في عهد الوليد بن عبد الملك، ياقوت الحموي، معجم البلدان، (5/227- 228).

[2]) المنصورة: وهي بأرض السند سميت نسبة إلى المنصور بن جهور عامل بني أمية مؤسسها، وقيل أنها سميت نسبة إلى الخليفة العباسي المنصور، ياقوت الحموي، معجم البلدان، (5/211-212).

[3]) مهرة: مدينة في جنوب شبه الجزيرة العربية، بينها وبين عمان شهر وكذلك بينها وبين حضرموت، ومهرة من قبائل اليمن، ياقوت الحموي، معجم البلدان (5/234).

[4]) المصامدة: نسبة إلى قبيلة بالمغرب الأقصى، فيه موضع يعرف بهم، الحموي، معجم البلدان، (5/136).

[5]) الأشبونة: وهي مدينة بالأندلس، قريبة من المحيط اشتهرت في العصور الإسلامية بالعنبر، ياقوت الحموي، معجم البلدان، (1/195).

[6]) أرمينية: اسم لأقليم عظيم في شمال العراق وخراسان، كانت بلاد واسعة تضم مدن وقرى عديدة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، (1/159- 161).

[7]) الفصل، (5/ 13- 14).

[8]) ينظر: على سبيل المثال، الفصل، (4/213)، (ص217)، (5/93).

ألا رب سـامي الطـرف من آل مـــــــازنٍ إذا شـمرت عن سـاقها الحـــرب شـــمراً(1)

ليبين أن قوله تعـالى: ﴿ يَـوْمَ يُكْشَـفُ عَنْ سَـاقٍ وَيُـدْعَوْنَ إِلَى السُّـجُودِ ﴾ [القلم: 42]، هو لبيـان شـدة الأمر يـوم القيامـة، وليس غرضنا هنا البحث عن مسائل الصـفات عند ابن حـزم ولكن نريد أن نـبين مهارة ابن حزم في سرد الأمثلة، ونجده يستعين عدة مـرات بالشـعر في مبحث الصفات كالاستشهاد بقول الشماخ:

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة بـــاليمين(2)

لأنه هنا ينبه القارئ إلى أن اليمين في لغة العـرب تعـني الحـظ والأفضـل. وعنـد كلامه على الطبائع، يستشهد لبيان معناها الحقيقي في الجاهلية، مثـل قـول النابغـة الذبياني:

لهم شـيمة لم يعطها الله غــــــيرهم من الجـود والأحلام غـير عـــــــوازب(3)

وأنت ترى من خلال ذلك كيف أن ابن حزم يمتلك مقدرة كبيرة على إيراد الشواهد بمختلف أشكالها، والتنوع فيها، وانتقاله من جانب لآخر، وكل هذا يدل على حرصه الشديد في اثبات الحق، ودحض الباطل، وكذلك علينا أن نعترف أن كثرة الأمثلة

---

[1] () الفصل، (2/351 ـ-352)، والبيت في ديـوان جريـر، (بشـرح لمحمد بن حـبيب)، (م1)، (ص 112). وينظر ترجمة جرير من هذا البحث.

[2] () الفصل، (2/249)، والبيت في ديوان الشماخ، (ص97).

[3] () الفصل، (5/ص116)، والبيت عند النابغة، الديوان، (ص52).

والشواهد تزيد من قوة الحجة ووضوح الفكرة، وهذا ما كان قصد ابن حزم فيه واضحاً وصريحاً.

العلوم العقلية [1]:

شكلت هذه العلوم أهمية خاصة عند ابن حزام، وهي عنده من أدوات البحث المهمة، وأكثر ما اشتهر به هو دراسته للمنطق، والتي استفاد منها كثيراً في بحثه هذا الجانب، بل ، بل إنه يصرح أن المنطق هو الوسيلة: ((إلى معرفة الأشياء على ما هي عليه، وإلى إمكان التفهم الذي به ترتقي درجة الفهم، ويتخلص من ظلمة الجهل، وفيها تكون معرفة الحق من الباطل [2]، فإذن هذه الأدلة العقلية مهمة في تمحيص الحقائق وبطلان الزائف منها، ونحن نجد ابن حزم يكثر من استعمالها. فقد اعترض عليه يوماً من له علم بالفلسفة فقال له: ((ليس للعقل ضد لكن وجوده ضد وهو عدمه. فقلت للذي ذكر لي هذا القول أن هذه سفسطة وجهل، ولو جاز له هذا التخليط لجاز لغيره أن يقول ليس للعلم ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه. فيبطل التضاد من جميع الكيفيات، وهذا كلام يعلم فساده بضرورة العقل[3]، فالبديهيات المنطقية عنده هي ما انتقلت عليه الحواس وبرهن عليه العقل، وبهذا نستطيع أن نثبت المثبت وننفي المنفي[4].

ونجد ابن حزم يستدرك على من ادعى الإصلاح بالفعل وحده: ((ولا يمكن إصلاح أخلاق النفس بالفلسفة دون طاعة غير الخالق عز وجل لا تلزم[5]، وهكذا نجد أن ابن حزم يحسم ذلك الصراع المستمر بين العقل والدين، باستنتاج ذكي وهو أن يتخذ

---

[1] (?) سنعتمد في تحديدها في هذا البحث على تعريف ابن خلدون لها في المقدمة والتي يسميها: (علوم الفلسفة والحكمة) وذلك من أجل الإيجاز، ينظر مقدمة ابن خلدون، (ص 478).

[2] (?) ابن حزم، الأحكام، (م1)، (ص6).

[3] (?) الفصل (5/199).

[4] (?) أبوزهرة، ابن حزم، (ص 153).

[5] (?) الرسائل (3/134).

طريقاً وسطاً بينهما مما يطابق تمام المطابقة لمذهبه الظـاهري الذي انتهجه[1] ويحارب ابن حزم الخرافات التي تـرد على ألسـنة العــوام، أو يقــول بها بعض الجهــال، مثل كــون الكــواكب هي المــدبرة، أو المــؤثرة، ووســيلته في ذلك معلومــات علمية ذات قيمة علمية مهمة وهي: ((أن المد والجــزر يتولد بطلــوع القمر وغروبه)) [2] وهــذا شئ يلفت الانتبــاه لكونه يشــير إلى حقيقة علمية ثابتة، حتى أنه لا يـتردد في إثبـات كروية[3] الأرض من أجل الرد على دعوى البعض من كـون الكـواكب هي المـدبرة الفاعلة بســبب حركتها المســتمرة [4] ، وعند بحث ابن حــزم لمســائل الألـوان، يعطينا معلومـات علمية صـحيحة، منها إثباته أن الظلمة ليست بلــون، وأن النــور هو اللــون، أو بتعبــير علمي الشــعاع المنعكس من الجسم، وغيرها من المعلومات العلمية[5] .

أما العلوم الرياضية فقد كان لابن حزم نصيب منها بــالرغم من أنه صرح بأنه ليس ممن بـاع في هـذا العلم[6]، وربما يكـون هـذا تواضــعاً منه رحمه اللــه، والــدليل عليه هــذا البحث، في نظرية الجزء الذي لا يتجزأ أو بتعبير المتكلمين نظرية الجـوهر الفـرد[7]، يفـــــترض ابن جـــــزم الافـــــتراض الآتي: ((نعلم أن الخطين المستقيمين المتوازيين (أب، ج د) لا يلتقيان أبـداً، ولو مـدا عمر العـالم أبـداً بلا نهايــة، وإذ لا شك في هــذا، فإنك إن مــددت من الخط الأعلى إلى الخط المقابل له خطين مســتقيمين متــوازيين

---

[1] (?) بالنثيا، تاريخ الفكر الأندلسي ، (ص 222).

[2] (?) الفصل، (4/16).

[3] (?) الفصل، (2/241).

[4] (?) الفصل، (2/239).

[5] (?) أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، مقدمة رسالة الألوان، الرياض، (1979)،(ص16ـ 17).

[6] (?) ابن حزم، الرسائل، (21/185).

[7] (?) نظرية الجوهر الفرد، أو الجزء الذي لا يتجزأ، نقول هذه النظرية بأن هناك أجسـام مخلوقة لا طول لها ولا عرض ولا عمق ولا اجتماع ولا اقتران. ينظر ا|لأشعري مقالات الإسـلاميين، (2/10ــ 18)، بينس، مذهب الذرة عند المسلمين (ص3ـ 27).

(أجـ ،ب د) قام منهما مربع بلا شك، فـإذا أخـرجت من زاوية تمر مع الخطين الأعلى أبداً، لأنها غير متوازية له إذ ذلك كذلك، فذلك الضـلع منقسم أبـداً لا بد ما أخـرجت الخطـوط بلا نهايـة)) [1] إن هـذه المعلومـات الـتي قـدمها ابن حـزم لنا توضح حقيقة علمية معروفة، في كون الخطـوط المتوازية لا تلتقي، بينما الخط الـذي يفترضه وهو (أجـ) لا يمكن أن يكون موازيـاً لهمـا، وبهـذا يتـبين كيف وظف لنا هـذا العلم لخدمة منهجه العلمي، ولا بـأس من أن نأخذ أنموذجـاً آخر لـذلك، وهو الافـتراض الآتي: ((دائـرة قطرها أحد عشر جزءاً (11سم) لا يتجـزأ كل واحد منها عنـدهم، أو أي عدد شئت على الحساب، فأردنا أن نقسمها بنصفين على السواء ولا خلاف في أن هذا ممكن، فبالضرورة نـدري أن الخط القـاطع على قطر الـــدائرة من المحيط إلى ما قابله من المحيط (أ ب) ماراً على مركزها (م) لا يقطع ألبته إلا في نصفين، وبالله تعــالى التوفيق)) [2] **، إن** هذه المعلومات الرياضية الصحيحة التي نقلها ابن حــزم للقــارئ، وتبـدو فيه ثقافته الواسـعة وجهـوده العلمية القيمة التي سلكها في بحثه للعقائد، مسـتعيناً بـالعلوم الرياضـية والهندســية من أجل خدمه البحث، إضــافة إلى عنايته العظيمة بإثبات الحقائق العلمية ودحض الخرافات .

الاستدلال:

يعــرف ابن حــزم الاســتدلال بأنــه: ((طلب الــدليل من قبل معـارف العقل ونتائجه أو من قبل معلم [3]، ومسـألة الاسـتدلال من الأمور التي كثر النقـاش فيها عند المتكلمين[4]، وابن حـزم لا ينكر الاستدلال ((بل هو فعل حسن مندوب إليه محضـوض عليه كل من أطاقه، لأنه تـزود من الخـير، وهو فـرض على كل من لم

[1] (?)الفصل، (5/234) وينظر شكل (1).

[2] (?) الفصل، (5/235).

[3] (?) الأحكام ، (م1)،(ص37)، الرسائل، (4/ 413) وينظر ملحق (3).

[4] (?) البغـدادي، عبد القـاهر بن ظـاهر، أصـول الـدين (اسـتنبول، 1928)، (ص24ــ 28)، عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، (1/397).

تسكن نفسه إلى التصديق ـ نعوذ بالله عز وجل من البلاء ــ وإنما ننكر كونه فرضــاً على كل أحد لا يصح إســلامه،هــذا هو الباطل المحض)) [1] وهو في بحثه هــذا ينتهج منهج الجــدل والتسلسل المنطقي للشواهد الـتي يعـبر عنها بلفظ الأدلـة، وإننا نجد عنـدما يجــادل من قــال: بــأن البــاري خلق العــالم جملة كما هو بجميع أحواله بلا زمــان، نجــده يتســاءل لمــاذا تختفي بعض العلــوم في بعض بلاد السودان أو البوادي التي: ((في خلال المدن ــ أي بين المــدن ــــ ليس يوجد فيها أبــداً أحد يــدري شــيئاً من العلــوم والصـــناعات حـــتى يعلمه معلم، وأنه لا ينطق أحد حـــتى يعلمه معلم)) [2] ولا غرابة في ذلك فالاســتدلال المنطقي يقتضــيه،لأن حصول شئ من المعارف لا بد أن يكون بواسطة؛ إلا أن يأتي من العــدم، وقد انتقد بعض علمــاء الأنــدلس الأســلوب المنطقي في كتابــات ابن حــزم حيث اتهمــوه بأنــه: ((... يــرد على المنطقي بالشـرعي)) [3] وقد نفى ابن حـزم هـذه التهمة عنـه، والحق أنه كان يميل إلى هذه العلوم، ونجده يكـرر اسـتعانته بها ليؤيد وجهة نظر لا لرد حقيقة شرعية، وإنما لإبراز صحة وجهة نظره للقارئ، وصـــــدق دعـــــواه، فمن ذلك قولــــه: ((وأما من طريق النظر والمصلحة، فلو جاز أن يكون في العـالم إمامـان لجـاز أن يكـون فيه ثلاثة، وأربعة وأكثر، فـإن منع من ذلك مـانع كـان متحكمـاً بلا برهان، ومـداعياً بلا دليل)) [4] وهـذا المثـال يوضح بدقة الجـانب العقلي النظري في منهجـه، والـذي من خلاله نسـتطيع أن نقـرر، أن بن حزم قد أدخل أدوات الاستدلال النظرية في مناقشة الآراء المختلفة.

وقد استعان ابن حزم أيضاً بالبحث النفسي والسـلوكي للفـرد، حتى أنه ليبين ذلك واضحاً من خلال أسلوب التحليل لســلوك كل

---

[1] (?) البغـدادي، عبد القـاهر بن طـاهر، أصـول الـدين (اسـتنبول، 1928)، (ص24ــ 28)، عبد الرحمن بدوي، مذاهب الإسلاميين، (1/397).

[2] (?)الفصل، (1/ 136).

[3] (?) ابن حزم ، الرسائل (3/ 73).

[4] (?) الفصل، (4/ 151).

من المــؤمن والكــافر، لأن أفعــال النفي جاريــة: ((على ما رتب الله تعالى فيها تمييزها من فعل الطاعات، وهذا هو الذي يســمى العقل، وإذا خذل الله تعالى النفس أمد الهوى بقوة هي الإضلال، فجـــرت أفعـــال النفس على ما رتب الله تعـــالى في هواها من الشهوات وحب الغلبة والحرص والبغي والحسـد. وسـائر الأخلاق الرذيلة والمعاصي......)) [1]، إن هذه المعالجة الفريـدة من نوعها لمسـألة الضـلال الـتي شـغلت ألسـنة المتكلمين، تعطينا صـورة لعمق المسـائل الـتي طرحها ابن حـزم أمـام القـارئ، وفيها تلك الــروح الــتي تمـيز كتاباتــه، وهو طــرح الحقيقة بأسـلوب علمي مبتكر، في خطوة جريئة تبين لنا موهبة ابن حزم في الغـوص في النفس والكشف عن أسرارها.

المقارنة والمناظرة:

لقد سـاق لنا ابن حـزم مقارنـات بين أصـحاب العقائد والملل المختلفة، حاول خلالها إبـراز جهـوده العلمية في تحليل الآراء من خلال مقارنتها مع بعضها وخصوصـاً الاعتقـادات المتشـابهة، على أن الفكرة التي يركز عليها ابن حزم هنا هي تلك الآراء المتشابهة الـتي قد تـردد عـبر مـدد زمنية مختلفة حيث قـال: ((إن النـاس قسمان: قسم لم تسكن نفوسهم إلي الإسلام ولا دخلها التصديق فطلبوا منه عليه السلام الـبراهين فـأراهم المعجـزات فانقسـموا قسمين، طائفة آمنت وطائفة عندت وجاهرت وكفرت وأهل هذه الصفة اليوم هم الذين يلزمهم طلب الأدلة فرضاً ولا بد)) [2]، إن هذه المقارنة بين دعاة الاستدلال وكونه شرطاً للإيمـان في زمن ابن حزم، وبين الكفار في عصر الرسالة فيه ميزة تظهر واضـحة للقــارئ، وهي ذلك الشك الــذي تتنازعه كلا الطــائفتين من أجل الإيمــان. وقد تتخذ المقارنة عنــده مســارات متعــددة، ومن ذلك انتقاد بعض المعتزلـة، بسـبب قياسـهم العقلي، ويقـارنهم بـأقوام آخرين من ملل آخرى، وذلك لأنهم حكموا على: ((البـاري تعـالى

---

[1](?) الفصل، (3/ 74).

[2](?) الفصل، (4/77).

بمثل ما يحكم به بعضـــــنا على بعض، وهـــــذا بين له أصل عند الدهريـــــة، وعند المنانية[1] ، وعند البراهمة[2] ، وهو أن الدهرية قــالت: لما وجــدنا الحكيم فيما بيننا لا يفعل إلا لاجتلاب منفعة أو لدفع مضرة، ووجدنا من فعل لا فائدة فيه فهو عابث، هذا الذي لا يعقل غــيره)) [3] فهو هنا يشــبه مقالة المعتزلة بما قالته كل من المنانية والبراهمة، وكأنه ينسب قولهم الفاسد إلى أصل اعتمـدوا عليه وتأثروا بـه. والنقطة المهمة الـتي وظفها ابن حـزم في هـذا الاتجاه هي ثقافته الواسـعة خصوصـاً باليهودية والنصـرانية، حيث اســتفاد منها في عــرض صــور مزدوجة ومتشــابهة عند كل من المســـلمين وغــــيرهم من أهل الملل الأخــــرى، فهو يعتقد أن المعجزة الـتي ادعاها البعض للحلاج[4] ، أو لبعض الصــالحين مثل إبــراهيم بن أدهم [5] **لا** تختلف عن دعــوى النصــارى المعجــزات للحــواريين من أصــحاب عيسى عليه الســلام[6]. ونحن نــرى من ذلك كيف خــدمت ثقافة ابن حـــزم الواســـعة منهجه في مقارنة مقــالات كثــير من النــاس رغم اختلافهم في المعتقد والزمـــان والمكان، فعنـده تسـتوي دعـوة المعجـزة لمـاني ودعوتها للحلاج

---

[1](?) المنانية: نسـبة إلى مـاني بن فاتـك، القائل بـالنور والظلمـة، ظهـرت مقالته أيـام سـابور بن اردشير ملك الفرس، وقد تبعه خلق كثـير من المجـوس، قتله سـابور بن بهـرام ، وقيل بهـرام بن هرمز، ينظر: الفصل، (1/0) الشهرستاني الملل والنحل (2/ 72ـ 83).

[2](?) البراهمة: نسبة إلى قبيله في الهند، اشتهروا بنفي النبوات رغم اقرارهم بالتوحيد الذي جعلوا العقل هو الموصل إليه بلا رسـل، الفصـل، (1/ـ 136ــ 140)، الشهرسـتاني، الملل والنحل (3/ 342ـ 348).

[3](?) الفصل، (3/ 138).

[4](?)الحلاج : هو الحسين بن منصور، قال عنه ابن النديم : ((كان محتالاً يتعاطى مذاهب الصوفية ويدعى كل علم (ت 309هـ) الفهرست، (ص 241ـ242)، الخطيب البغدادي، تـاريخ بغـداد، (8/ 112)، وقد اعتنى لويس ماسينون بدراسة الحلاج ونشر كتابه ((الطوسـين)) في بـاريس سـنة (1913)، وقدم له مقدمة وافية، وأعيد طبعه بالقاهرة سنة (1970) مع كتاب أخبار الحلاج باعتناء عبد الحفيظ محمد مدني هاشم

[5](?) إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي، زاهد مشـهور، تفقه وجـال في العـراق والشـام والحجاز، أخباره كثيره فيها مبالغات عظيمة(ت 161هـ) .

[6](?) إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي، زاهد مشـهور، تفقه وجـال في العـراق والشـام والحجاز، أخباره كثيره فيها مبالغات عظيمة(ت 161هـ) .

وغـيرهم، ذلك أن مجـرد المقارنة توصـلنا إلى مسـألة مشـتركة، وهي المبالغة في نسب المعجزات لأصحابها وربما يكون في هـذا إشارة المعجزة لا تكون إلا بنص كما يؤمن بذلك ابن حزم نفسه.

أما فيما يخص المناظر فنحن نجد صوراً كثيرة لها والغرض من إيرادها عند ابن حــزم هو كونها تمثل وسـيلة مهمة من الوسـائل العلمية المعروفة والمنتشرة في عصره في الـوقت نفسه الـذي تمثل فيه التفاعل العلمي بمختلف الأفكار في ذلك العصر. خاصة وأنه يصرح بحـدوث الكثـير منها فمن ذلك قولـه: ((وقد نـاظرت بعض المنكرين لهذا المذهب، إلى أن الهم بالسيئة الإصرار عليها. فقلت لــه: هــذا خطأ لأن الإصــرار لا يكــون إلا على ما قد فعله المرء بعد تمـام على نية أن يفعلـه، وأما من هم بما لم يفعل بعد فليس إصراراً)) [1] ، ونجد يكثر من هذه المناظرات، وهي وسيلة مهمة في منهجه لا سـيما المبـاحث الكلامية الـتي كـانت مــدار نقاش في المجالس العلمية بالأنـدلس، ويمكن أن نعد بعض هـذه المنـاظرات من الشـواهد المهمة على الآراء الـتي ناقشـها، حيث يقـــول: ((وقد ألـــزمت بعض الملحـــدين وهو ثـــابت بن محمد الجرجاني[2] ، في هذا البرهان، فأراد أن يعكسه على بقاء الباري عز وجل ووجودنا إياه، فأخبرته بأن هـذا شـغب ضـعيف مضـمحل ساقط)) [3] ، إن المنـاظرات تشـكل في أجـزاء منها محـاور أتت متفرقة في كتاب الفصل، ومثلث إحـدى المصـادر الـتي اعتمـدها ابن حــزم في كتابـه، ويبـدو أن غـرض ابن حـزم من إيرادها كـان لبيان مقدرته في المناظرة، وابتكار وسـائل عديـدة تخـدم المنهج العلمي من حيث المحتــوى والأســلوب. ثم إن له طريقة أخــرى تتمثل بإفتراض المناظرات من ذلك قوله: ((فإن قـال قائـل: إذا قلتم : ان النار دار جزاء فالجنة كذلك، ولا جزاء للصبيان)).

قلنا وبالله تعـــالى التوفيـــق: ((إنما نقف عنـــدما جـــاءت به النصوص في الشريعة وقد جاء النص بـأن النـار دار جـزاء فقـط،

---

[1](?) الفصل، (4/ 91).

[2](?) تقدمت ترجمته (ص 46) من هذا الحديث.

[3](?) الفصل، (1/ 61).

وأن الجنة دار جـزاء وتفضـيل فهي لأصـحاب الأعمـال دار جـزاء بقـدر أعمـالهم)) إن افـتراض الأقـوال نجـدها في بعض الأحيـان وسـيلة لعـرض وجهـات نظر صـادفته خلال حياته الفكريـة،وهـذه نقطة تستحق منا الاهتمام.

عرض الآراء:

يبـــدأ ابن حـــزم عـــادة عند عرضه لمبحث معين بـــإيراد أراء المسلمين بمختلف اتجاهـاتهم في هـذه القضـية، ويعطي للقـارئ مقدمة مركزة يعرض بها قصده من ذكر هذه المسألة، فمن ذلك قوله عند مناقشة مســـألة الشـــفاعة: ((اختلف النـــاس في الشفاعة، فأنكرها قوم وهم المعتزلة والخـوارج، وكل من منع أن يخرج أحد من النار بعد دخوله فيها، وذهب أهل السنة والأشـعرية [1] والكرامية[2]، وبعض الروافض إلى القـول بالشـفاعة)) [3] ، ثم يورد أدلة المنكرين للشفاعة، وهي آيات عديدة منها قوله تعـالى: قُـلْ إِنِّي لا أَمْلِـكُ لَكُمْ ضَـرّاً وَلا رَشَـداً (الجـــن:21)ـ . وقوله تعـــالى: يَـــوْمَ لا تَمْلِـــكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَـــيْئاً وَالْأَمْـــرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ (الانفطار:19)ـ . وغيرها من الآيات [4] ، بعـدها يـبين وجهة نظـره في أدلة الخصـــم، وهم هنا المنكـــرون للشـــفاعة، راداً عليهـــا، موضحاً بطلانها، فيقول بهذا الخصوص:

((لا يجـــوز الاقتصـــار على بعض القـــرآن دون بعض ولا على بعض النص دون بعض)) [5] ، وهنا تكـــون براعة ابن حـــزم في

[1] (?) لابد من التنبيه إلى أن ابن حزم يفرق بين أهل السنة والأشـعرية، ويعـرف أهل السـنة بـأنهم الصحابة والتابعون وأهل الحديث ومن تبعهم إلى يوم الـدين . أنظر الفصل الثـالث، المبحث الأول من هذا البحث(ص90).

[2] (?) نسبة إلى محمد بن كرام السجستاني، كان مؤسسها يقـول في الله تعـالى: ((أنه من جسم لا كالأجسام)) وسجن لمقالته هذه ثمانية أعوام بنيسابور توفي سنة(255هـ)، الأشـعري، مقـالات الإسلاميين، (جـ 1) (ص 205)، الفصل (5/ 73ـ 74)، الشهرستاني، الملل والنحل ، (1/ 159ـ 169).

[3] (?) الفصل، (3/111).

[4] (?) الفصل، (4/111).

[5] (?) الفصل، (4/111ـ 112).

إيــراده لأدلته بمهــارة وغالبــاً ما تكــون من جنس أدلة الخصــم، فيستعرض لنا الآيات التي دلت على الشـفاعة منها قوله تعـالى: ﴿لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَـذَ عِنْـدَ الـرَّحْمَنِ عَهْـداً﴾ (مـريم: 87). وقوله تعـالى: ﴿لا تَنْفَـعُ الشَّـفَاعَةُ عِنْـدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَـهُ﴾ (ســـبأ: من الآية23). وغيرها من الآيـــات الدالة على الشـــفاعة وحينئذ يقول: ((فقد صـحت الشـفاعة الـتي أبطلها عز وجل هي غير الشفاعة للكفار الذين هم مخلدون في النار)) [1] ثم يــبين لنا ابن حــزم أنــواع الشــفاعة، ويعرضــها للقــارئ لغــرض التوضــيح والكشف عن مفهومها،وهي **قسـمان**: ((الأولى عامة وهي لكل محسن ومسيء في تعجيل الحساب يوم القيامـة، وإراحة النـاس مما هم فيه من هول الموقف وشنعة الحال....)) [2]، والثانيـة: ((في إخــراج أهل الكبــائر من النــار، طبقة على ما صح في ذلك الخبر)) [3] ، وقد تكون هناك بعض الاعتراضات الـتي لا ينسى ابن حزم أن يعرج عليها، وقصده من ذلك عدم تـرك فجـوة يمكن أن تخل بمادة كتابـه، مثـل: ادعـاء البعض: ((أن الشـفاعة ليست إلا في المحسنين)) [4] ، ويرد هذا الادعاء بقوله: ((وهذا لا حجة لهم فيــه، لأن من أذن الله في إخراجه من النـار وإدخاله إلى الجنــة، وأذن للشـافع في الشـفاعة له في ذلك فقد ارتضـاه)) [5] ، فمن هنا يتــبين أن ابن حــزم أول ما يبــدأ بحثه في أي مســألة كلامية يقــــرر آراء مختلف النحل الإســـلامية فيها على اختلافهــــا، ثم يستعرض أدلة كل فريق على سبيل التفصيل، حـتى إذا فــرغ من ذلك بدأ عمله في تفنيد الأدلة الـتي لا توافق معتقـده، وقد يشـير إلى وجه التناقض بينها ثم يبين وجهة نظره الـتي يتبناها مع الأدلة التي تـدعم ذلـك، ومن ثم بعد وصـوله لهـذه النقطة يطـرح بعض

---

[1](?) الفصل، (4/ 112).

[2](?) الفصل، (4/ 113).

[3](?) الفصل، (4/ 113).

[4](?) الفصل، (4/ 113).

[5](?) الفصل، (4/ 113).

الاعتراضات للخصم، يردها بمهارة لا تقل عن المهارة التي رد بها الأدلة الأولى، والتي استعرضنا صورة منها قبل قليل. وهكــذا نجد أسلوبه هذا في معظم العقائد التي يستعرضـها، فـأنت إن قـرأت المسائل الأكـثر تعقيـداً، رأيت أقـوال النحل تكـثر وأدلتهم تتعـدد، افتراضاتهم تتشعب ويستمر ابن حزم على منهجه هذا في تنــاول الآراء فنفسه يطول في ردها وإقناع القارئ بوجهة نظــره بعبـارة موجزة:

((أن طريقته في تــرتيب موضــوعه تتمثل في تقرير الأسس للعقيدة قيد الحث، ثم بسط للدعوى ، ثم استعرض آراء الخصوم وأدلتهم، ثم دفعه للشـــبه وبرهـــان للحق الـــذي ينتصـــرله، وهي طريقة محكمة متكاملة)) [1] .

إلا إن هنـاك بعض المآخذ على ابن حــزم في هـذا الجـانب،منها عــدم تصــريحه في بعض الأحيــان بنســبة المقالة إلى صــاحبها، فيضـطر البـاحث إلى العـودة إلى الكتب الـتي تنـاولت الموضـوع نفسه ليرى من قال هذا الكلام مثال ذلك قولـه: ((وقـالت طائفة أن علة البـاري تعـالى لما فعل هـو: جـودة وحكمته وقدرتـه، وهو تعالى لم يـزل جـواداً حكيمـاً قـادراً فالعـالم لم يـزل، إذ علته لم تــزل)) [2] ، وهــذا هو القــول نفسه الــذي قــالت به طائفة من المعتزلة [3] . والمآخذ الثــاني هــو: تشــعب الآراء وتــداخلها حيث تتخذ مسارات مختلفة في مسألة معينة تجهد القارئ وتبعــده عن صلب الموضــوع. فعند كلامه عن خلق أفعـال العبـاد يتطـرق إلى مسألة التعديل والتجوير في أفعال الله تعالى، ولم يكف بذلك بل إنه يقحم القـــارئ في موضـــوع النفس وصـــور تعلقها بالجسد وعذاب القبر وغيرها من الأمور السمعية،ويستطرد فيها صـفحات عديدة[4] .

---

[1] (?) سعيد الأفغاني، ابن حزم ورسالة المفاضلة (ص 158ـ 159).

[2] (?) الفصل، (1/71).

[3] (?) الشهرستاني، نهاية الإقدام، (ص397).

[4] (?) الفصل، (3/ 167ـ174)، وينظر كذلك الفصل، (5/ 243ـ 252).

ويبدو أن مسألة تشعب الآراء في كتابـات ابن حـزم لم تسـترع الانتبـاه هنا فقط بل إنها واجهت ابن تيمية عنـدما تعـرض بالنقد لإحدى مؤلفات ابن حزم[5]، مما يدل على أن هـذه المسـألة هي من الممـيزات البـارزة لنتـائج هـذا الفكر على العمـوم، ومع ذلك فـإن تشـعب الآراء تقــوم دليلاً واضــحاً على نفسه الطويل في الكتابة، وثقافته الواسعة في مختلف المعارف والفنون.

(?)[5] ابن تيمية، نقد مراتب الإجماع، منشور ملحقاً بمراتب الإجماع لابن حزم(بـيروت،1978)،(ص 217).

منهج ابن حزم في دراسة الفرق الإسلامية

تقسيمه للفرق:

اعتمد كثير من مؤرخي الفرق الإسلامية في تحديدهم على الحديث المشهور الذي ورد عن النبي في افتراق هذه الأمة، أما عن ابن حزم فإننا نجده من الذين ذهبوا إلى أن هذا الحديث ضعيف من طريق الإسناد فلا حجة فيه [(1)] .

ومن ذلك نجده يقسم المسلمين إلى خمس فرق: ((أهل السنة والمعتزلة والمرجئة والشيعة والخوارج، ثم افترقت كل من هذه على فرق)) [(2)] ، ثم يبين بعرض سريع المسائل الكلامية التي جعلت كلاً من هذه الفرق تتشعب وتتفرق إلى فرق عديدة فمعظم اختلاف أهل السنة، وهي الفرقة الأولى الرئيسية عنده، كان: ((في الفتيا وشئ يسير من الاعتقادات)) [(3)] ، أما باقي الفرق فإنه يقومها على أساس قربها أو بعدها من أهل السنة، ويفصل في الأمر على النحو الآتي:

1- المرجئة: ((يرى ابن حزم أن أقرب فرقها إلى أهل السنة هم أصحاب أبي حنيفة [(4)] وأبعدهم أصحاب جهم بن صفوان[(5)] ، ومحمد بن كرام السجستاني)) [(6)] .

---

[1] (?) الفصل، (3/ 292).

[2] (?) الفصل، (2/ 256).

[3] (?) الفصل، (2/ 266).

[4] (?) في قول ابن حزم انظر لأن أبا حنيفة لم يكن من هذه الفرقة في نسبة الإرجاء إليه خلاف معروف ،ونحن لا نوافق ابن حزم فيما ذهب إليه ، ينظررسالة أستاذنا خليل إبراهيم الكبيسي، المرجئة نشأتها، عقائدها، فرقها وموقفها السياسي، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد 1975) (ص110ـ 119).

[5] (?) هو جهم بن صفوان: أبو محرز السمرقندي، رأس الطائفة الجهمية، أشهر مقالاته (القول بخلق القرآن) وأن الإيمان الإقرار باللسان فقط(ت 128هـ) الأشعري، (مقالات الإسلاميين) (1/197ـ198)،الفصل(5/73ـ74)، خالد العسلي (جهم بن صفوان ومكانته في الفكر الإسلامي) (بغداد 1965)،(ص 61ـ68).

[6] (?) الفصل، (2/265).

2- المعتزلة: وأقرب فرقها إلى أهل السنة أصحاب الحسين بن محمد النجار[1]، وبشر بن غياث المريسي[2]، وأبعدهم أصحاب أبي الهذيل العلاف[3].

3- الشيعة: أقربها في نظره إلى أهل السنة هم: ((أصحاب الحسن بن صالح حي الهمداني الفقيه[4]، القائلون بأن الإمامة في ولد علي (رضي الله عنه) الثابت عن الحسن بن صالح رحمه الله كما حقق ذلك بن حزم، أنه كان يعتقد بأن الإمامة في قريش، ويتولى جميع الصحابة، إلا أنه يفضل عليا على جميعهم، أما أبعدهم في نظره عن أهل السنة فهم الإمامية[5].

4- الخوارج: ويرى أن أقرب فرقها لأهل السنة هم: أصحاب عبد الله بن عبيد الأباضي الفزاري الكوفي[6]، وأبعدهم الأزارقة[7].

إن هذا التقييم لمقالات الفرق يوضح وجهة نظر ابن حزم تجاه مقالات، وفيه يبدو تقديره الخاص لهذه المسألة، والتي اتخذت عند كثير من مؤرخي الملل والنحل مسلكاً مخالفاً لمسلكه، وهي على كل تقدير لا يمكن إلا أن تكون ابتكاراً موضوعاً يوضح

---

[1] (?) هو الحسين بن محمد بن عبد الله النجار، كان من أشهر المجبرة ومتكلميهم وله مع النظام مجالس ومناظرات، ذكر له ابن النديم كتباً عديدة(ت220هـ) ترجمته عند: ابن النديم، (الفهرست) (ص299) الشهرستاني، ((الملل والنحل)) (1/116ـ 120).

[2] (?) هو بشر بن غياث المريسي، فقيه معتزلي، يرمي بالزاندقة، وإليه تنسب الطائفة المريسية قال عنه ابن حجر: (مبتدع ضال لا ينبغي أن تروى عنه ولا كرامة)، (ت 218هـ) ترجمته عبد الخطيب البغدادي (تاريخ بغداد) (7/ـ 56ـ67)، الذهبي (ميزان الاعتدال) (1/322ــ323)،ابن حجر: (لسان الميزان) (2/29ـ31).

[3] (?) الفصل، (2/ـ 265ـ 266)، والعلاف هو محمد بن الهذيل بن عبد الله العلاف شيخ المتزلة، كان خبيث المذهب، جحد صفات الله تعالى، كان كذاباً (ت 227هـ) ترجمته عند الخطيب البغدادي، (تاريخ بغداد)(3/366)، ابن حجر: (لسان الميزان)(5/413).

[4] (?) هو الحسن بن صالح: أحد فقهاء الكوفة المشهورين في عصره كان متكلماً ورعاً قال عنه الذهبي: (فيه بدعة تشيع قليل) بينما رد عنه ابن حزم هذه التهمة (ت 168هـ) ترجمته عند: أبي نعيم الأصفهاني (حلية الأولياء) (7/327ـ335)، والذهبي، (ميزان الاعتدال) (1/ 496ـ 499) .

[5] (?) الفصل، (2/ 266).

[6] (?) لم يذكره من المتقدمين إلا ابن حزم، ونقل ابن حجر كلامه في لسان الميزان، (3/ 378).

[7] (?) الفصل، (2/266).

أن ابن حزم يريد من خلاله فرض رأيه وتقييمه الذي يرتضيه على القارئ. أما من حيث التقسيم العام لهـذه الفـرق فـإن له منهجـاً مستقلاً في ذلك حيث أنه حـددها وذكـر: ((ما اعتمـدت عليه كل من هذه الفرق فيما اختصت به)) [1].

إن هذا المنهج في التقسيم هو الغالب في كتـاب ابن حـزم في بحثه للفـرق الإسـلامية حيث أنه يحـدد مسـبقاً ذلك وينبه القـارئ إلى أنه سيبحث الأمر وفق ما يقرره هو: ((أما المرجئة فعمدتهم التي يتمسكون بها، الكلام في الإيمان والكفر، ما هما؟ والتسمية بهما، والوعيد، واختلفـوا فيما عـدا ذلك كما اختلف غـيرهم)) [2]، إن هــذه النقطة دقيقة في تحديد عــدد محــدد لفــرق المرجئــة. والكلام نفسه يمكن أن يتمســـكون بهـــا: الكلام في التوحيد وما يوصف به البـــاري تعـــالى، ثم يزيد بعضـــهم الكلام في القـــدر والتسمية بالفسق والإيمان والوعيد [3]، وهذا مشـهور عن فـرق المعتزلة، خصوصاً خوضها في باب التوحيد إلا أن هـذا لا يمنع من مشاركة آخرين لها في هـذا المبحث: ((وقد شـارك المعتزلة بما يوصف به الباري تعالى جهم بن صفوان ومقاتل بن سليمان[4].

والأشــعرية وغــيرهم من المرجئــة)) [5]، وهــذا تقســيم جيد واســـتدراك لطيف منـــه، ذلك أن أول من فتح هـــذا البـــاب هم المعتزلة وقد أخـــذه عنهم الآخـــرون، ولا يـــترك ابن حـــزم الأمر مهملاً، بل أنه يعلل ذلك بقولـه: ((إلا أنا اختصصـنا المعتزلة بهـذا الأصل لأن كل من تكلم في هذا الأصل فهو غير خارج عن مذهب أهل السنة أو قول المعتزلة)) [6].

---

[1] (?) الفصل، (2/269).

[2] (?) الفصل، (2/265).

[3] (?) الفصل، (2/265).

[4] (?) مقاتل بن سـليمان بشر الأزدي الخرسـاني، كـان مشـهوراً بوضع الحـديث مشـبهاً لله تعـالى بالمخلوقين. وعده ابن النديم من الزيدية له كتب عديدة أشـهرها (تفسـير القـرآن) (ت150هــ) ينظر: (الفهرست)، (ص277)، الشهرستاني (الملل والنحل)، (1/ 228).

[5] (?) الفصل، (2/265).

[6] (?) الفصل، (2/265ـ266).

ومعلــوم أن فــرق الشــيعة تجمعها مســألة كلامية مشــهورة، اســتغلها ابن حــزم ويوضح لنا منهجــه: ((وأما الشــيعة، فعمــدة كلامهم في الإمامة والمفاضلة بين أصحاب النبي ، واختلفوا فيما عدا ذلك كما اختلف غيرهم)) [1] ، وهذه خطوة موفقة في تميـيز فرق الشيعة عن غيرهم، لأنها أصل يجتمعون عليه، ويختصون به، أما الخوارج فتقسيمهم يعتمد على أساس: ((الكلام في الإيمــان والكفر ما هما؟ التسمية بهما والوعيد، والإمامة)) [2] .

من كل هــذا يتضح أن ابن حــزم اعتمد في تقســيمه للفــرق الإسلامية على أساس ماهية المباحث الكلامية التي غلبت عليهــا، ومـيزت كل فرقة عن الفـرق الأخـرى، وهو في هـذا يضع منهجـاً محـدداً تحديـداً واسـعاً والهـدف منه كما يبـدو هو جعل مسـاحة البحث والعرض واسـعة تمكنه من الحركة بيسر وسـهولة، وهـذه الميزة لا نجدها في الكتب المشابهة.

ثم ينتقل ابن حزم للفـرق الغاليـة، ويـبين منهجه في تقسـيمها، وهي عنــده لا تحمل من الإســلام إلا الاســم: ((وقد أجمع جميع فــــرق أهل الإســــلام على أنه ليس مســــلماً، مثل طوائف من الخوارج غلو فقالوا: إن الصلاة ركعة بالغداة وركعة بالعشي فقط وآخرون استحلوا نكاح بنات البنين وطوائف كـانوا من الشـيعة ثم غلو، فقالت بعضهم بإلهية علي بن أبي طالب والأئمة بعده)) [3] ، فهــذه طوائف من الغالية وســيفرد لها ابن حــزم في نهاية بحثه مبحثـاً خاصـاً يحـدد فيه مقـالات يحمل عنـوان: ((ذكر العظـائم المخرجة إلى الكفر أو إلى المحال من أقوال أهل البدع)) [4] .

والملاحظة الـتي تسـترعي الانتبـاه في المبحث الـذي خص فيه ابن حزم عرض الآراء الغالية لبعض الفـرق الإسـلامية، أنه أعطى لعقيــدة الأشــاعرة حصة الأسد في البــاب لــذا ذكر فيه ((شــنع

---

[1] (?) الفصل، (2/266).

[2] (?) الفصل، (2/266).

[3] (?) الفصل، (2/267).

[4] (?) الفصل، (5/33).

المرجئة)) وفق تعبيره[1] ، فشن فيه هجوماً قاسياً على عقيدة الأشاعرة بصورة عامة، وبعض آرائهم التي أخذها عن الباجي بصورة خاصة، ويستغرق ذلك صفحات كثيرة[2] . وهذا يجعلنا نتساءل عن أسباب ذلك، وربما يكون عداء فقهاء الأندلس الأشاعرة أثراً في دفعه بهذا الاتجاه، خاصة وقد تعرض لإحراج شديد في مناظرتة مع الباجي، وكان رأساً من رؤوس الأشاعرة[3] ، وبذلك يمكن القول أنه كانت لابن حزم أهداف مذهبية في هذا الكتاب بحيث أنه أخل بمنهجه، على الأقل، وعلى العموم نصل إلى نتيجة خلاصتها أن الفرق عند ابن حزم تقسم إلى قسمين رئيسين، **القسم الأول:** الفرق التي تنتمي لأهل الإسلام ولم تخرج من إطاره، بحثها في المسائل الكلامية ، **القسم الثاني:** التي تنتمي لأهل الإسلام ولكنها برأيه ليست من الإسلام في شئ وهم الغلاة، ونجد من المناسب أن نعرض أنموذجاً للقسم الأول لأهميته في إبراز منهجه، وتحديد سماته في تناوله للفرق:

كلام في الرؤية:

إن اختيارنا لهذه المسألة، وجعلها أنموذجاً للداسة يعود إلى أنها كانت مختصرة عند
ابن حزم ولكون النزاع فيها معروفاً ومشهوراً.

يبدأ ابن حزم بإيراد أقوال الفرق بهذه المسألة، وعادة ما يكون التقسيم من فريقين: ((قال أبو محمد: ذهبت المعتزلة وجهم بن صفوان، إلى أن الله عز وجل يرى في الآخرة...... وذهب المجسمة إلى أن الله تعالى يرى في الدنيا والآخرة.

[1] (?) الفصل، (5/73).

[2] (?) الفصل، (5/73ـ 96).

[3] (?) ابن حزم، الفصل، (5/ 74ـ75).

وذهب جمهور أهل السنة والمرجئة، وضرار بن عمرو[1] ، من المعتزلة إلى أن الله يرى في الآخرة، ولا يرى في الدنيا وقال الحسين بن محمد النجار هو جائز لم يقطع به [2] ، وهكذا يورد ابن حزم آراء المتكلمين في مسألة الرؤية على شكل ملخص موجز، ثم يبدأ بعد ذلك بتفنيد أقوال المخالفين وهم المجسمة والمعتزلة مبيناً إلى أن الله تعالى يرى في الآخرة: ((بقوة غير القوة الموضوعة في العين الآن، لكن بقوة موهوبة من الله عز وجل)) [3] ، ثم يورد حجة المعتزلة في ذلك وهي قوله تعالى: لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (الأنعام:103)، حيث يقول: ((وهذا لا حجة لهم فيه لأن الله تعالى إنما نفى الإدراك عندنا في الله زائد على النظر والرؤية)) [4] ، ثم يبين معنى الإدراك والرؤية والفرق بينهما، وهذا مبحث لغوي قد أوضحنا أسلوب ابن حزم فيه، وبعد أن ينتهي من ذلك يورد بعض الاعتراضات للمعتزلة منها قول الجبائي[5] أن ((إلى)) في قوله تعالى: وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (القيامة:22ـ23)، ليست حرف جر لكنها اسم وهي: (واحدة الآلاء وهي النعم، وهي في موضع مفعول ومعناه نعم ربها منتظرة) [6] يقول ابن حزم راداً هذه الدعوى: (هذا بعيد لوجهين ....إلخ) ثم يورد رده المحبك المدعوم بالأدلة، حتى إذا انتهى من

---

[1] (?) هو ضرار بن عمرو القاضي معتزلي جلد، له مقالات خبيثة، شهد عليه أحمد بن حنبل فأمر القاضي بضرب عنقه فهرب وأخفاه يحيي بن خالد، ويعد من رجال منتصف القرن الثالث الهجري، ترجمته عند ابن النديم، (الفهرست) (ص 214ـ 215)، ابن حجر: (لسان الميزان)،(3/203).

[2] (?) الفصل، (3/7).

[3] (?) الفصل، (3/8).

[4] (?) الفصل، (3/8).

[5] (?) هو أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي، أحد أعلام المعتزلة،كان إماماً في علم الكلام،رئيس المعتزلة بالبصرة(ت 303هـ) ترجمته عند ابن خلكان، (وفيات الأعيان)، (4/ 267ـ 296).

[6] (?) الفصل، (3/ 8ـ10) ومن المناسب إيراد ابن حزم، وهو (أن الله تعالى أخبر أنهما تنتظر بعد النضرة وهي النعمة الأول نعمة أخرى لم تقع بعد.. والأمر الثاني أن الأخبار قد تواترت في إثبات هذه الرؤية عن النبي .

ذلك كله بـدأ بتقرير الرؤية ورؤية الله تعـالى يـوم القيامة كرامة للمؤمـنين لا حرمنا ذلك الله من فضـله) [1] إن هـذا العـرض السريع لمبحث الرؤية يعطينا تصوراً لمنهج ابن حزم في دراسـته للفـرق من خلال عقائـدها، والمسـائل الكلامية الـتي بحثهـا، وقد قدمنا فيما سلف الأدوات التي يستخدمها أهل العقائد

وبهـذا تقـرر أن منهجه إلى حد ما منهج محـدد له خطـوط واضحة سار بها. إلا أن هـذا لم يكن ليعصم ابن حـزم من إهمـال كثير من الفـرق الإسـلامية مركـزاً على أسـاس الفـرق كما فعل الأشـعري والبغـدادي والشهرسـتاني، بل إنه اعتمد منهجـاً آخر يرتكز على الأعلام في تحديد المقالات وتقسيمها، وهذا ما سنبينه إن شاء الله تعالى بالمبحث الآتي:

الأعلام:

إن مـؤرخ الملل والنحل عـادة ما يتعامل مع عـدد كبـير من الأعلام الـتي لها أهميتها في بيـان جـذور كثـير من الفـرق، حيث جعلها علامة بارزة في منهجه، الذي يعتمد عليها في تحديد مسار بحثه أكثر من اهتمامه بأسـماء الفـرق، وجعلهم من أسس تحديد الآراء والمقـالات. والمطـالع لمبحث المعتزلة في كتـاب الفصل يجد ما قررناه واضحاً فالمنهج الـذي يختطه ابن حـزم في إيـراد مقـالات المعتزلـة، يسـتند على أعلام متكلميهم، ومثـال ذلـك: ((وقـالت المعتزلة بأسـرها حاشا ضـرار بن عبد الله الغطفـاني الكـوفي، ومن وافقه كحفص الفـرد[2] أن جميع أفعـال العبـاد من حركاتهم وسكونهم في أقوالهم التي ذكرها ابن حزم عنه، وأشـار كـذلك إلى الـرأي نفسه من كـون حفص الفـرد قد تبع ضـرار بن عمـرو في مقالته هـذه. وهـذه يـدل على أن ابن حـزم لم يـرتئ التقسيم الذي اتبعه التغدادي لأن طريقتة أيسر وأسهل منه.

---

[1] (?) الفصل، (3/ 10).

[2] (?) هو حفص بن أبي المقدام، كان ـ بالإضافة إلى قول ابن حزم فيه ـ كـان ينفى صـفات البـاري عز وجـل، ويشك في عامة المسـلمين ويقـول: (لا أدري لعل سـرائر العامة كلها شـرك وكفـر) ، ترجمته عند ابن النـديم، الفهرسـت، (229ــ 230) البغـدادي، أبو منصـور عبد القـاهر بن طـاهر التميمي، الفرق بين الفرق (بيروت، 1997)، (ص202).

وقد يهتم ابن حزم بذكر معلومات تدور حـول العلم، وتعد مهمة بالنسـبة لـه، ومثـال ذلك عنـدما يتحـدث عن أبي الهـذيل العلاف يقـــول: ((أبو الهـــذيل بن مكحـــول العلاف مـــولي عبد القيس، بصرى، أحد رؤساء المعتزلة ومتقدميهم)) [1] ، فهو يــذكر هنا أنه من الموالي، بصري بالسكن معتزلي العقيـدة، وكأنه يلفت انتبـاه القـارئ إلى هـذه الصـفات الـتي يلحقها والشئ نفسه يفعله مع آخرين مثل الجاحظ[2] وغـيره، وابن حـزم يـدرس أيضـاً التنشـئة الاجتماعية للمفكـــر، وينبه على مكانتها وإن كـــان هـــذا بصـــورة مــوجزة مختصــرة: ((ورأيت لأبي بكر أحمد بن علي بن بيغجــور المعروف بابن الأخشيد، وهو أحد أركان المعتزلة، وكان أبــوه من أبناء ملوك فرغانة)) [3]، من الأتراك وولي أبوه [4] الثغـور وكـان هـذا أبو بكر ابنه يتفقه للشـافعي [5] ، فهو هنا يهتم بـذكر أصـول هذا الرجل وعائلته ونسبه ومذهبه، وهي مهمة بنظره تستحق أن يطلع عليها القارئ.

أما فيما يخص الفــرق الشـيعية، فـإن الاهتمـام بـالأعلام يأخذ إطـاراً أكـبر ويحتل مسـاحة أوسـع، وعـادة ما يقسـمهم بحسب الإمام الذي دعيت إليه واعتقـدت رجعته كقـول طائفة منهم: "أن محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن الحســين بن الحســين بن علي بن أبي طـــالب" [6] حي لم يمت ويفعل الشـــيء نفسه مع معظم الفــرق الشـيعية [7]، إن ابن حــزم يركز على ذكر أســماء

---

[1] (?) الفصل، (5/ 57)،ويقارن بما عند البغدادي، الفرق بين الفرق، (202).

[2] (?) الفصل، (5/ 62).

[3] (?) فرغانـــة: بـــالفتح ثم الســـكون، وعين معجمـــة، مدينة واســـعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان، بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً، الحموي: معجم البلدان،(4/ 253).

[4] (?) لم أقف على ترجمته.

[5] (?) الفصل، (4/ 107).

[6] (?) لم أقف على ترجمته.

[7] (?) الفصل (4/107).

الأئمة كاملة عند تقسـيمه لفـرق الشـيعة حـتى لا يقع اللبس بين الأسماء خاصة وأن كثير من الأسماء متشابهة.

والملاحظ على منهجه هنا أنه عـــادة ما يكـــون انتقائيا في ذكر الأعلام، وليس هدفه التحديد والحصــــر، ولـــذلك قد لا تكـــــون الاستفادة طيبة عند البحث في تحديد دقيق للفرق الإسـلامية في كتاب ابن حزم، هـذا في حين أن القـارئ يحصل على مبتغـاه من فوائد كثـــــــــــيرة إن أراد أن يبحث عن علم من أعلام المعتزلة والمرجئة وغيرها من الفـــرق وآراءه الكلامية وحججـــه، ورد ابن حـزم عليـه، وهـذه هي مـيزة ابن حـزم في كتابه مقارنة بما كتبه الشهرستاني الذي كان هدفه عكس هدف ابن حزم فـاهتم بـذكر الفرقة وخصائصها، ولم يكن مهتما كثيرا بأعلامها[1].

ولم يكن ابن حزم ليعصم نفسه من الوقوع في بعض الهفوات، والتي هي من سبيل السهو وسبق القلم في إيراده لهذه الأعلام، فعند ذكره لرأس طائفة النجدات لدى فرق الخوارج يسميه نجدة بن عـويمر الحنفي (بالتصـغير) [2]، بينما تـذكره المصـادر الباقية باسم نجدة بن عامر[3].

[1](?) الفصل (5/35) وينظر: ابن حزم، الجمهرة، (53-54).

[2](?) الفصل (5/35-40).

[3](?) مكي خليل حمود، الملل والنحل للشهرستاني، (ص 178).

ورغم أنه يصرح في مكان آخر بأن نقل هـذه المعلومة من خط الحكم المستنصر [1]، فإن هذا لا يعفيه من مسـئوليتها أيضـا. وقد يطلق لقبا غربيا على اسم اشـــتهر بلق آخر مثل لا تســـميته أبا مسلم الخراسـاني [2]، بـأبي مسـلم السـراج[3]، وأنه يـذكر أعلاما مبهمة مثل قولـه: "ورأيت رجل يعـرف بـابن شـمعون" [4]، وهـذا يولد تساؤلا لدى القارئ عن أصول هؤلاء الأعلام.

المصطلحات

نجد من المناسب هنا، وقد تطرقنا للأعلام وأهميتها في منهج ابن حزم أن نعرج على بعض المصطلحات التي كـانت مثـار نـزع عند كثير من أصحاب الفرق، وتنازعوا فيها نزاعاً شديداً، ونبين موقف ابن حزم منها، والقيمة المنهجية لها عنده.

الأمر المهم الذي يجب أن نضعه أمام القـارئ أن ابن حـزم غالبـاً ما يحاول أن يكون خلفية لكثير من التعابير المتداولة على ألسـنة المتكلمين، لأنها باعتقـاده ليس لها أصـول شـرعية، وهـذا يعـود بالدرجة الأولى إلى مذهبه الظــاهري وأثــره في نتاجه الفكــري بصـورة عامـة، فنجـده يعـترض على مصـطلح " الصـفة" ويتهم المعتزلة باختراع هذه اللفظة: " وسلك سبيلهم قوم من أصـحاب الكلام، سلكوا غير مسـلك السـلف الصـالح ليس فيهم أسـوة ولا

---

[1] (?) الفصل، (5/35).

[2] (?) الطـبري، محمد بن جريـر، "تـاريخ الأمم والملـوك"، تحقيـق: أبو الفضل إبـراهيم (القـاهرة، 1966)،/، (6/174)، الأشعري، "مقالات الإسلاميين"، (1/162)، البغدادي، "الفرق بين الفرق"، (66/96).

[3] (?) ابن حزم، الجمهرة، (ص310).

[4] (?) هو عبد الرحمن بن مسلم، واشتهر بكنيته، أحد دعاة بني العباسي، ثم ولي خراسان في عهد الخليفة العباسي الأول، قتله المنصور سنة (137هـ) ينظر أخباره عند: الطبري، التاريخ، (7/377-392)، (448-450).

الفصل، (5/36، 49)، الرسائل، (2/68، 95).

الفصل، (5/97).

قدوة وحسبنا الله ونعم الوكيل"ز ولكن ابن حزم نفسه يحاول أن يـؤول في هـذه الصـفات والـتي هي عنـده أسـماء وقد يلتقي مع بعض آراء المعتزلة في هـــذا الاتجـــاه [1]، واتهمه ابن تيمية بنفي الصفات لهذا السبب وعلل تخبط ابن حزم في ذلك: " بسبب أنه أخذ أشياء من أقـوال الفلاسـفة والمعتزلة عن بعض شـيوخه ولم يتفق له من بين لهم خطــأهم" [2]، ويمكن أن نلتمس لابن حـــزم العــذر في ذلــك، كما التمسه له ابن تيميــة، إذ أنه بالإضــافة إلى عدم وجود من يبين خطأ الفلاسفة له، إنه لم يكن ينفي الصــفات بل أنه اعترض على هذا المصطلح فقط، وكـان مذهبه الظـاهري سبباً قوياً لذلك [3].

وعند نقاشه أوجه المفاضلة بين الصحابة، يكثر من الاهتمام بهــذا الجانب ويعده أساساً منهجياً مهمــاً، فلابد أن يعـرف الخليفة قبل أن يخـوض في مسـألة الخلافة فيقـول: " الخليفة في اللغـة: هو الذي يسـتخلفه المـرء لا الـذي يخلفه دون أن يسـتخلفه هـو" [4]، وهو هنا يلجأ إلى تعريف هـذا المصـطلح عند مناقشة أمر الخلافة بعد رسول الله والأمر فيها مشهور، في حين نجــده ينبه إلى أن بعض المصطلحات تحتاج إلى تفصيل، وما زلنا في باب المفاضلة بين الصحابة، واحتجاج البعض بأن علياً كان أكثر الصحابة جهاداً وطعنــاً في الكفـار وضـرباً والجهـاد أفضل الأعمـال: " قـال أبو محمد: هذا خطأ لأن الجهاد ينقسم أقساماً ثلاثـة: أحـدها: الـدعاء إلى الله عز وجل باللسـان، والثـاني: الجهـاد عند الحـرب بـالرأي والتدبير، والثـالث: الجهـاد باليد في الطعن والضـرب"[5]، إن هـذا المنهج في بيـان المصـطلحات يقـوده إلى رسم خطـوط واضـحة

---

[1] (?) الفصل، (2/363 – 385)، أبو زهرة، ابن حزم، (221).

[2] (?) ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، تحقيق محمد رشاد سالم (الرياض، 1986)، (2، 584).

[3] (?) ينظر للتفاصيل: مهدي طه مكي الصالحي، آراه ابن حـزم فيما بعد الطبيعة رسـالة ماجسـتير غير منشورة (جامعة بغداد، كلية الآداب، 1987)، (175 – 179).

[4] (?) الفصل، (4/176).

[5] (?) الفصل، (4/183 -184).

لمسـار فقـرات كثـيرة من كتابـه، ويتخـذه طريقة للتعبـير، وفي الـوقت نفسه الـذي تكـون للبيـان والتـدليل، وفي هـذا المقـام لا ينسى أن ينبه على مسـألة في غاية الأهمية وهي الـتي اصـطلح عليها: " التدليس" ويحـذر القـارئ منها قبل أن يـدخل إلى مبحث الفــرق الإسـلامية: ولكن ربما دلســوا المعــنى الفــاحش بلفظ ملتبس ليســـــهلوه على أهل الجهـــــل، ويحسن الظن بهم من أتبـاعهم" [1]، وبـذلك يحـدد ابن حـزم مصـطلح خـاص به ويحـذر القارئ منـه. فقط تختلط بعض المصـطلحات على من لا علم له بالأمر، مما قد يسبب فهمـاً خاطئـاً، ويمثل لنا في ذلـك: " كقـول طوائف من أهل البـدع والضـلال: لا يوصف الله تعـالى بالقــدرة على المحال وعلى الظلم ولا على الكـذب، ولا على غـير ما علم أنه يكــون، فـأخفوا عظيم الكفر في هـذه القضـية لما ذكرنا من تلبيس الأغمار من اتبـاعهم. وتسـكين الـدهماء من مخـالفيهم ... "[2]، وفي هذا إشارة واضـحة من قبله على ضـرورة الموضـوعية في مثل هذه الكتابات، خصوصـاً وأن لها دوراً أساسـياً في بيـان الخلاف وأصله بين الفرق المختلفة.

على أننا إن تتبعنا إطلاق ابن حـزم التسـميات على الفـرق الـتي نسب إليها المقــالات، لا يهتم كثــيراً بــذكرها على حسب ما اشتهرت به كما فعل الشهرسـتاني من بعـده [3]، ونجـده انتقائيـاً في ذلــك، فــأول الطوائف الرئيســية الـتي يتناولها هم الشــيعة بفرقها المتعددة، ويذكر أسماء عـدد كبـير منها [4]، في حين أنه لا يذكر إلا النزر اليسير من فـرق المعتزلـة، والمرجئـة، وهـذا الأمر يجعلنا نتسـاءل، لمـاذا أورد بعض المصـطلحات وغض النظر عن البعض الآخـر؟ وهنا لا نسـتطيع إلا أن نقـول: أنه لم يـبر مـبرراً لتحديـدها وفق المصـطلحات المتداولة بين المـؤرخين، لأن هـذه

[1] (?) الفصل، (5/33).

[2] (?) الفصل، (5/33).

[3] (?) مكي خليل حمود، الملل والنحل للشهرستاني (177- 178).

[4] (?) الفصل، (5/35 – 49).

المصطلحات في الأساس غير ثابتة المفهوم، وكأنه يعني ذلك عندما يصرح بأنه يعتقد أن الكيسانية شعبة من الزيدية [1]، رغم أن كلاً من البغدادي [2]، والشهرستاني [3]، عدها صنفاً مستقلاً عن الزيدية.

من خلال ما مر، نستطيع أن نرسم خطوط عامة لاستخدام ابن حزم للمصطلح وتوظيفه لخدمة منهجه العلمي، بالرغم من أنه لم يستطع أن يحدد لنا كثير من تلك المصطلحات التي اعتاد كثير منا أن يجدها على شكل قائمة طويلة في كتب الملل والنحل، ولكن غرض ابن حزم كان واضحاً هو: عدم التقييد بمصطلحات سرعان ما تكون مثار نزاع بين أهل هذا الفن نفسه من أهل الكلام.

أسباب نشوء الفرق عند ابن حزم:

لقد اعتنى ابن حزم بأسباب نشوء الفرق الإسلامية، والبحث في أصولها، وقدم لنا أسباباً هي في نظرهن رئيسية تتمثل في الكيد بالإسلام بعد أن سيطر على العالم حسداً من بعض، وحقداً من البعض الآخر ويمكن أن نحدد نشوء الفرق الإسلامية بنظره إلى الأسباب الآتية:

1- **الأسباب السياسية**: وفيه يتضح جلياً أن ابن حزم يركز فيه على دور بعض الفرس الذين مثلوا هذا الاتجاه أبرز تمثيل بقوله: " إن الفرس، كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم، وجلالة الخطر في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون الأحرار الأبناء، وكانوا يعدون سائر الناس عبيداً لهم، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب، وكان العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً تعاظم الأمر، وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا يد

---

[1] (?) الفصل، (5/35).

[2] (?) الفرق بين الفرق ، (ص 15).

[3] (?) الملل والنحل، (1/235).

الإســلام بالمحاربة في أوقــات شــتى، ففي كل ذلك يظهر الله الحق .... " [1]، فوضوح هذا النص، وصدق تفسيره، لا يحتــاج إلى أي تحليل، وهو لا يكتفي بهذا الجانب بل إنه يـبين الوسـائل الـتي اتخذها هؤلاء من أجل الوصول إلى مآربهم وهي:

أ- الخــروج عن الســلطة المركزية الإســلامية، ومحاربتها وعلنــاً بواسـطة دعـوة النـاس إلى حركـات هدامة ظـاهرة الإلحـاد مثل حركة بابك الخرمي [2]، والمقنع [3]، وغيرهما [4].

ب- محاولة الالتفــاف حــول الســلطة المركزية الإســلامية عن طريق أعوان يتظاهرون بالولاء لها، والطعن بظهرهـا، مثل دعـوة أبي مسلم السراج (الخراساني) [5].

جـ- اتخاذ التشيع لآل البيت رضي الله عنهم وسيلة لاستمالة قوم من أهل الإسلام " ثم سلكوا بهم مســالك شـتى حـتى أخرجـوهم من السلام"[6].

---

[1](?) الفصل، (2/273).

[2](?) بابك الخـرمي، إليه تنسب الطائفة الخرميـة، وقد أحـدث مـذهبهم: القتل والغصب والحـروب والمثلة، وقاد حرباً عنيفة ضد الدولة العباسية، ذكره الطبري لأول مرة في حوادث سنة (201هــ) واستمرت حركته حتى سـنة (223هــ) حينما حمل رأسه إلى المعتصـم. ينظـر: الطـبري، " تـاريخ الأمم والملـوك"، (8/556)، (9/11 – 16)، (23-55)، ابن النـديم: الفهرسـت، (406، 407)، قحطان عبد الرحمن الدوري، " الحركات الهدامة في الإسلام" (بغداد 1989)، (85 – 184).

[3](?) ظهر أول مرة سنة (161هـ) في مرو بخراسان، وكان يقول بتناسخ الأرواح، واستدرج بشــراً كثيراً، قتل (سنة 163هـ). ينظر الطبري،، التاريخ (8/35، 144).

[4](?) الفصل، (2/273).

[5](?) الفصل، (2/273).

[6](?) الفصل، (2/273).

د- محاولة إحيــــاء المعتقـــدات المجوســـية من مزدكية ومانوية وغيرهما، وتمريرها إلى بعض الفـرق الإسـلامية مثل الإسـماعيلية [1]، والقرامطة [2]، وهـــذا ما أشـــار إليه بقولـــه: إن سر هـــاتين الطائفتين يعود إلى المزدكية [3].

وهكـذا نجـده يحلل مقاصد أعـداء الإسـلام وينبه المسـلمين إلى الخطر المحـــدق بهم، ســابقاً بـــذلك كثـــير من العلمـــاء قـــدامى ومحـدثين وقد وجـدنا في عصـرنا الحـاض من يتبـنى هـذا الـراي ويـــدافع عنه منهم على ســبيل المثــال عبد الفتــاح المغــربي [4]، وأحمد شــلبي [5]، وقحطــان الــدوري [6] من المســلمين، ودوزي وملر [7] من المستشرقين.

2- **الأســـباب الاجتماعية**: نبه ابن حـــزم مبكـــراً إلى العوامل الاجتماعية الـــتي أســـهمت في ظهـــور بعض الفـــرق، فـــالخوارج بنظره: " كانوا أعرابــاً قــرأوا القــرآن قبل أن يتفقهـوا في السـنة الثابتة عن رســـــول الله ولم يكن فيهم أحد من الفقهـــــاء ولا

---

[1] (?) الإسـماعيلية: طائفة من الشـيعة قـالت بإمـام إسـماعيل بن جعفر الصـادق، واختلفـوا فيـه، فمنهم من قال أنه مات ومنهم من قـال بل أظهر موته تقيـة، واشـتهرت هـذه الفرقة أيضـاً باسم الباطنية، ينظر معتقداتهم عند: البغدادي: "الفـرق بين الفـرق" (265 – 299)، الشهرسـتاني، " الملل والنحل"، (1/330- 345)، وقد اعتنى بدراسة هذه الفرقة برناردلويس، أصول الإسماعيلية، ترجمة خليل أحمد جلو، جاسم محمد رجب (القاهرة 1962).

[2] (?) القرامطة: نسبة إلى رجل من سـواد الكوفة يقـال له قرمـط، لهم مـذهب مذمومة وظهـروا سنة (281هـ) في خلافة المعتضد، وطالت أيامهم وعظمت شـوكتهم، انظـر: ابن خلكـان، وفيـات الأعيان، (2/146 – 150).

[3] (?) الفصل، (1/87)، (2/274).

[4] (?) عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية (القاهرة 1988)، (ص 147).

[5] (?) أحمد شلبي، حركات فارسية مدمرة ضد الإسلام والمسلمين عبر العصور (القاهرة، 1988)، (ص 57).

[6] (?) الدوري، الحركات الهدامة، (ص 26).

[7] (?) بوليوس فلهاوزن، أحزاب المعارضة السياسية في صدر الإسـلام، الخـوارج والشـيعة، ترجمة عبد الرحمن بدوي (القاهرة 1958)، (ص 240 – 241).

الصحابة" [1]، فهم حاولوا نقل جفـاء البادية إلى سـماحة الإسـلام فوقعوا فيما وقع فيه: " ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند أقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها"[2].

وهـذا يـدل على النظـرة الشـمولية الـتي نظر بها ابن حـزم لهـذا الفرقة، بحيث استطاع أن يقدم لنا تعليلاً مقنعاً لسـبب ظهورهـا، وهذا يدل على عمق تفكيره، وصدق حدسه.

3- **الأسـباب الفكرية**: ومن الأسـباب المهمة الـتي أدت إلى ظهور الفرق في نظره في الناحية الفكرية، ونجده على هـذا يعد اليهود على رأس هـذا الاتجـاه، ويرجع إليهم نشـوء بعض مـذاهب الباطنية في الإسلام، كما فعلوا ذلك في النصرانية، فدسـوا فيهم من حرف دينهم وشوه عقيدتهم [3]، وفي رأيه يرجع سبب ظهـور الغلاة من الشيعة إلى كيد عبد الله بن سبأ اليهود [4] الذي تظاهر بالسلام ليضل من يستطيع إضلاله من المسـلمين [5]، وقد نـاقش كلام ابن حـزم هـذا عـدد من البـاحثين المعاصـرين [6]، ولم يكتف اليهود (بنظره – بسلك هذا الجانب فقط، بل اتخذوا سـلاح الفكر وسـيلة لبث سـمومهم في جسد الإسـلام، وعلى وجه الخصـوص علمائهم منهم: الفيـومي [7] المغمر داود بن قـزوان وغـيرهم من

---

[1] (?) الفصل، (4/237).

[2] (?) الفصل، (4/237).

[3] (?) الفصل، (2/89 – 90).

[4] (?) هو من يهود اليمن، وقد أظهر الإسلام لغرض الكيد بأهله، رحل إلى الحجاز والبصرة والكوفة ودمشق، وأظهر مقالات خبيثة منها القول برجعة النبي □ وألوهية علي بن أبي طـالب □ إليه تنسب الطائفة السبائية، وهم من غلاة الشيعة، ينظر ابن حـزم، الفصـل، (5/36)، الشهرسـتاني الملل والنحـل، (1/289 – 291). وقد اعتـنى بدراسة هـذه الشخصـية وأثبتت بكونها حقيقـة: محمد سليمان العودة، عبد الله بن سبأ واثره في إحداث الفتنة في صـدر الإسـلام (الريـاض، 1985)، (38 – 52).

[5] (?) الفصل، (1/ 325 – 326).

[6] (?) ينظر بهذا الخصوص ما كتبه العودة، عبد الله بن سبأ، (53 – 104).

مفكــري اليهــود [1]، وشــاركهم في ذلك أيضــاً بعض مفكــري النصارى، وأشد الناس تأثراً بهـذا الجـانب هم المعتزلة[2]، كما أن بعض الفرس قد سلكوا هـذا السـبيل أيضـاً فقـاموا بتمويه الكلام بأصــول فلســفية وإلحادية وتمريرها بمعتقــدات المســلمين عن طريق إحيــاء الفكر المجوسي القــديم، بالترجمة والحــرص على نشره بين الناس [3].

ونــرى من ذلك الاهتمــام الشــديد الــذي يوليه ابن حــزم لأســباب ظهــور الفــرق في التــاريخ الإســلامي، ويشــكل بحثه في هــذا المضمار عنصراً بارزاً من عناصر منهجه، ولا بد من الشــارة إلى أمـــور أعانته وهي في حقيقتها أداوته الخاصة في هـــذا الاتجـــاه وتتمثل فيما يأتي:

1- الخبر:

إن دراسة طبيعة تعامل ابن حـزم مع الخـبر مهمة في بيـان قيمة منهجه العلمي خاصة وهو يبــدأ دراســته للفــرق الإســلامية بهــذا القول الذي يدل على الأمانة العلمية: " وليعلم من قرأ كتابنا هــذا أننا لا نســتحل ما يســتحله من لا خــير فيه من تقويل أحد ما يقله نصاً" [4]، ولابن حزم نظرة شمولية للخبر التــاريخي، لأنه لا يفــرق بين الكافة من الناس سواء كانت كافرة أم مســلمة: " ومن قــال لا أصدق لا ما نقلته كتاب المسلمين فإننا نسأله: بــأي شــيء صح عنده موت ملوك الروم ولم يحضره مسلم أصلاً، وإنما نقلته إلينا

---

[7](?) هو سـعيد بن يوسف الفيـومي من متكلمي اليهـود وعلمـائهم، قـال ابن النـديم " وقد أدركه جماعة في زماننا" الفهرست، (ص 25).

[1](?) لم أقف على ترجمته.

[2](?) الفصل، (3/207).

[3](?) الفصل، (3/207).

[4](?) الفصل، (5/33).

يهـــود عن نصـــارى" [1]، وبطبيعة الحـــال فإنه يعد تـــاريخ الملة الإسلامية أصح شيء عنده [2].

ويختصر ابن حـزم الطريق مع مناظريه في مناقشه الأخبـار، فهو عند مناقشة الأخبار بين أهل السنة والشيعة يختصر الأمر فيقول: " فلا معنى لاحتجاجنا عليهم برواياتنا فهم لا يصـدقونها، ولا معـنى لاحتجـاجهم علينا برواياـتهم فنحن لا نصـدقها" [3]، فيبـدأ بمناقشة الأخبار التي اتفق الجانبان عليها مثل احتجاجهم بقول رسول الله لعلي : " أنت مـــني بمنزلة هـــارون من موسى إلا أنه لا نـــبي بعـــدي " [4]، وهنا يثـــير حس القـــارئ ويـــبين له مغـــزى الحادثة بأسـلوب علمي رصـين حيث يقـول: " إنما قاله رسـول الله إذا استخلف علياً على المدينة في غزوة تبوك، فقال له المنافقون اسـتثقله فخلفـه، فلحق علي برسـول الله فشـكى إليه ذلـك، فقال له ما قـال" [5]، إن هـذا البرهـان الـذي يقدمه لنا يـدل على تمكنه من الإحاطة بالحادثة التاريخية، في الوقت نفسه الذي يدل على علمه الواسع بالسيرة، والـذي أعانه أكـثر على فـرض وجهة نظره تلك الثقافة الجيـدة الـتي تمتع بهـا، وهو لا يـتردد حـتى في طرح أصل هذا الاستخلاف في التـوراة نفسـها وهو أن: " هـارون لم يل أمر بـني إسـرائيل بعد موسى عليهما السـلام، وإنما ولي الأمر بعد موسى عليه السـلام يوشع بن نـون [6]، فـتى موسى وصـاحبه الـذي سـافر معه في طلب الخضر عليهما السلام، كما ولي الأمر بعد رسول الله صاحبه في الغـار

---

[1](?) الفصل، (4/23).

[2](?) الرسائل، (4/79).

[3](?) الفصل، (4/159).

[4](?) مسلم، الصحيح، (4/1870 – 1871) ، الترمذي، السنن، (5، 638).

[5](?) الفصل، (4/159 – 160)، وينظر: ابن هشام، السيرة، (2/519 – 520).

[6](?) ورد في التـوراة: " وكـان بعد مـوت موسى عبد الـرب أن الـرب كلم يوشع بن نـون خـادم موسى قائلاً، فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب إلى الأرض الـتي أنا معطيها لهم أي لبني إسرائيل " سفر يوشع. الإصحاح الأول، (1-3).

الذي سافر معه إلى المدينة " [1]، من هذا الأنموذج الذي قــدمناه يتضح بجلاء توظيف ابن حــزم للخــبر التــاريخي لدراسة مســائل الخلاف عند الفــرق، وفيه يتجلى لنا أصــالة بحثه وســعة ثقافتــه، وهذه المسابقة التي تميز بها، هي مهمة لبيان موقفه من مختلف المسائل الخلافية التي ترد في كتابه.

وهو يخضع الخــبر لمــيزان العقل ولا يســلم به على عيوبــه، لأن تمحيص الخــبر التــاريخي من أهم مهــام المــؤرخ، فعند مناقشــته لقول من ادعى أن وفاة عثمــان : " أقــام مطروحــاً على مزبلة ثلاثة أيــام فكــذب بحث، وإفك موضــوع، وتوليد من لا حيــاء في وجهه، شهد دفنه طائفة من الصحابة هــذا ما لا يتمــارى فيه ممن له علم بالأخبار" [2]، من خلال هذا يمكن القول أن فهم ابن حــزم للخبر التاريخي، كــان مــدخلاً أساســياً لعــرض وجهــات النظر عند الفرق الإسلامية، وفي الصورة التي قدمناها نــرى الجهــود الطيبة لهذا المفكر الذي حاول حل هذه المســائل بالاعتمــاد على الخــبر وجعله وســيلة من وســائل المــؤرخ لفــرق المســلمين، وفي تتبع ظهورها، وبيان حججهم وأقوالهم، في الــوقت نفسه الــذي يوضح لنا مكانة ابن حزم كمؤرخ للفرق الإسلامية، وقيمة نتاجه في هــذا الميدان.

2- النقد:

ينبع اهتمــام العلمــاء المســلمين بعلم الجــرح والتعــديل لســند الحــديث النبــوي الشــريف من مكانة هــذا العلم في نفــوس المسلمين، وكثرة أهل البــدع والضــلال من أصــحاب الفــرق ممن كانوا ينتحلون الحديث لنصرة مذهبهم ومعتقدهم، فتصدى لهــؤلاء العلمــاء المخلصــون لهــذا الــدين ووضــعوا القواعد لنقد الحــديث النبوي [3].

---

[1] (?) الفصل، (4/159).

[2] (?) الفصل، (3/239).

[3] (?) الخطيب البغدادي، الكفاية، (ص 105 – 106).

وبقدر تعلق الأمر بابن حزم، الذي يعد من حفاظ الحديث ونقاده، فقد أعطى نصيباً لهذا الجانب، واهتم به، والملاحظ عليه بصورة عامة أنه من المتشــددين في نقد الرجــال [1]، وكــذلك أنه أطلق على عدد من الرواة المشهورين لفظ "مجهول"[2]، وأشهر هـؤلاء محمد بن عيسى الترمذي صاحب السنن [3]، وأشار ابن حجر إلى ذلك وتتبع بعض الهفـوات الـتي وقع فيها في هـذا الجـانب [4]. أما مسألة تشدده في نقد الرجال، فقد أشار إليها السخاوي، وعــدت هذه النقطة من المآخذ عليه، إذ هو يجر الرجل لأدنى حجــة، مثل تضعيفه رواية المنهـال بن عمـرو [5]، وأسـقط روايته حيث يقـول عنه: " تركه شعبه وغيره"[6]، وتعقب ابن القيم كلام ابن حزم في هذا الرجل ورده حيث قال: " وتضعيف ابن حزم له لا شـيء فإنه لم يذكر موجباً لتضعيفه غير تفرده بقوله فتعاد روحه إلى جسده، ولم يتفـرد بها بل رواها غـيره"[7]، ومن هـذا المثـال يتضح أن ابن حزم كان متشدداً في نقد الرجال، ولـذلك لم يأخذ معظم علمـاء الحديث كلام ابن حزم إذا انفـرد بـترجيح رجـل، كما هي القاعـدة عند أئمة هذا الفن " لا يؤخذ من المتشدد إذا خـالف الآخـرين"[8]، على أن هذا لا يقلل من جهوده في هذا المجال، بل إنه أجــاد في

---

[1] (?) السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، (722 – 723).

[2] (?) ويعـني عند أهل الحـديث: " هو الرجل الـذي لم يشـتهر بطلب العلم في نفسـه، ولا عرفه العلماء، ومن لا يعرف حديثه إلا من وجهة راو واحد" الخطيب البغدادي، الكفاية، (ص 88).

[3] (?) ابن حجر، تهذيب التهذيب، (9/388).

[4] (?) ابن حجر، لسان الميزان، (1/432).

[5] (?) المنهال بن عمرو، وثقه ابن معين والعجلي والكوفي، وقد روى عن أنس وغيره وتركه شـعبة لأنه سمع في بيته صوت طنبـور، ينظـر: الخطيب البغـدادي، " الكفايـة" (ص 112)، ابن حجـر: " تهذيب التهذيب"، (10/318 – 321).

[6] (?) الفصل، (4/119).

[7] (?) ابن قيم، محمد بن أبي بكر الجوزية، الروح (بيروت، 1975)، (ص 48).

[8] (?) محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، (دمشق، بلات). (1/1/140).

معظم الأماكن في هذا الشأن مثل قوله عن أبي الحمـراء[1]: " لا يعـرف من هو في الخلـق"[2]، وبهـذا أدخل ابن حـزم علم الجـرح والتعديل في دراسـته لحجج وأدلة الفـرق الإسـلامية، وهي مـيزة تكـاد تختفي عند مــؤرخي الملل والنحل الآخــرين، وفيها تصــور واضح عن أساس آخر من الأسس التي اعتمدها.

[1] (?) أبو الحمراء: له صحبة إلا أنه لا يصح حديثه كما ذهب إلى ذلك ابن حجـر، تهـذيب التهـذيب، (121/78).

[2] (?) الفصل، (4/161)

وقد يحذر القارئ من الرواية عن بعض الإخباريين الذين اشـتهروا بكـثرة الرواية عن أهل الكتـاب مثل روايـات الكلـبي [1]، وكعب الأحبـار [2]، ووهب بن منبه [3]، ويتضح لنا بـذلك المنهج النقـدي عنده ودقته، حيث كان هدفه أن يطبق منهج المحدثين على الخبر التاريخي، ولم يكتف بنقده السند أو كما يسمى بالنقد الخـارجي، بل إنه كان له أسـلوبه في النقد الـداخلي مثل ادعـاء البعض بـأن علي لم يكن له سـمي وينتقد هـذا الادعـاء معتمـداً على ثقافته العالية في النسب فيقول: " بل كان في العرب من يسمون هـذا الاسم كعلي بن وائل [4]، إليه يرجع كل بكـري في العـالم نسـبة، وفي الأزد علي، وفي بجليلة علي وغيرها، وكل ذلك في الجاهلية مشهور، وأقرب من كل ذلك عـامر بن الطفيل يكـنى أبا علي [5]، ومجـاهرتهم أكـثر مما تـذكر"[6]. إن هـذا يوضح الأسـاس في مناقشة ابن حـزم للخـبر التـاريخي، الـذي يمثل في كثـير من الأحيان سبب لإثارة الخلاف بين الفرق الإسلامية.

3- الإحصاء:

اهتم ابن حزم بلغة الأرقـام، وجعلها من أدوات بحثه التاريخية في سابقة لا نظير لها بين المؤرخين في كتب العقائد والفـرق الـذين

---

[1] (?) الفصل، (2/238)، والكلبي هو هشام بن محمد بن السائب، عالم بـالكتب وأخبـار العـرب له قائمة طويلة من المؤلفات ذكرها ابن النديم (ت204 هـ)، ينظر ابن النديم، الفهرسـت، (ص 108 – 118)، ابن حجر، لسان الميزان، (6/169 – 170).

[2] (?) كعب الأحبـار، هو كعب بن مـاتع الحمـيرين من مسـلمة أهل الكتـاب، كـان كثـير الرواية عن الكتب السماوية القديمة (ت32هـ)، ترجمته عند: أبي نعيم الأصـفهاني، حلية الأوليـاء، (5/364 – 391)، (6/48).

[3] (?) وهب بن منبه هو أبو عبد الله الصـنعاني مـؤرخ كثـير الأخبـار عن الكتب القديمة عـالم بالأساطير لا سيما الاسـرائيليات (ت110هـ) ترجمته عنـد: ابن سـعد ، الطبقـات، (5/543)، ابن حجر: تهذيب التهذيب، (11/166 – 168).

[4] (?) ينظر: ابن حزم، الجمهرة، (ص 309).

[5] (?) ينظر: ابن حزم، الجمهرة، (ص 285).

[6] (?) الفصل، (5/41).

وصلت إلينا كتبهم. وهو بمنهجه هذا يحاول أن يثبت صدق برهانه، وسعة اطلاعه، ولا يغفل عن ربطه بباقي البراهين الأخرى التي اتبعها، وأوضح أنموذج لدراسة هذا الجانب هو عند بحثه مسألة المفاضلة بين الصحابة التي يعتمد فيها من ضمن ما يعتمد على أمور إحصائية ففي تقييمه لشخصية أبي بكر ، يبين أنه أفقه الصحابة وأكثرهم رواية، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار: " أنا أبا بكر لم يعش بعد رسول الله إلا سنتين وستة أشهر"[(1)]، وهو أيضاً لم يكن قد غادر المدينة في خلافته إلا حاجاً أو معتمراً، ومع ذلك فقد: " روى عنه عن النبي مائة حديث واثنان وأربعون حديثاً مسندة "[(2)]، كما أنه كان ورعاً في مدة خلافته فلم يستعمل أحداً من أقربائه في الأعمال والأمصار، بالرغم من أنه كان له أقرباء من خيار الصحابة [(3)]. كما أنه كان أول الناس إسلاماً برأيه، وذلك لأن النبي بعث وعمره ثمان وثلاثين سنة مقارنة بغيره من الصحابة وهذا السن فيه كمال العقل والمكانة الاجتماعية فكانت قوة معنوية للنبي عليه الصلاة والسلام [(4)]، وحتى بعد أن تولى الخلافة كان زاهداً في المعيشة متكففاً بها: " فما اتخذ جاريه ولا توسع في مال، وعد عند موته ما أنفق على نفسه وولده من مال الله عز وجل الذي لم يستوف منه إلا بعض حقه وأمر بصرفه إلى بيت المال من صلب ماله الذي حصل له من سهامه في المغازي "[(5)].

وقد اقتصرنا على ذكر هذه الأمور التي لها علاقة بالإحصاء أما وجوه المفاضلة الباقية، فيكفي أن نحيل القارئ إلى الكتاب ليرى ذلك بنفسه [(6)]، المهم هنا أن ابن حزم يحاول أن يبرهن لنا أن الإحصاء مهم في عملية الاستدلال، وقدمنا صورة واضحة هنا،

---

[1](?) الفصل، (4/213).

[2](?) الفصل، (4/213).

[3](?) الفصل، (4/217).

[4](?) الفصل، (1/218).

[5](?) الفصل، (1/216).

وتدل هذه الصفة فيه على حسن اختيـاره لوسـيلة البحث إضـافة إلى سعة وسائل الإقناع الأخرى، وهي مكملة للموضـوع وسـاندة له، وهذه هي نقطة الإبداع في نتاجه.

[6](?) الفصل، (4/164 ، 211)، (5/204).